Zouheyr Bakhti Dahmour
زهير بختي دحمور

في الرواية الإفريقية

تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي



زهير بختي دحمور في الرواية الإفريقية : تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي منشورات زخة الشهب

في الرواية الإفريقية

تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي

منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني

2021م / 1442هـ

في الرواية الإفريقية

تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي

تأليف:
زهير بختي دحمور

في الرواية الإفريقية

(تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي)

تأليف: زهير بختي دحمور



منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني

الطبعة: الأولى/ أكتوبر 2021 م/ ربيع الأول 1443هـ

البريد الإلكتروني لمنشورات زخة الشهب:

E-mail: zakhat.achohob@gmail.com

مقياس الكتاب: 14× 21

عدد الصفحات: 116





وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الفهرس

لا.. أرسلني أسودَ؛ رجلاً أسودَ، معتّما كامل السواد..
لأنّ لديّ عملا سأقوم به، ولا يمكنني كرجل أبيض أن أُؤَديه.
من فضلك أرسلني أسود بقدر ما يكون من السواد..

كويجير آغري

إهداء

إلى روح أبويّ..

إلى روح أخي رابح.. رحمهم الله جميعا

جعل الله هذا العمل في ميزان حسناتهم.

زهير بختي دحمور

شكر خاص

لأستاذي الدكتور مصطفى فاسي
الذي فتح عينيّ على أدب إفريقيا الرائع.
لأستاذي الدكتور وحيد بن بوعزيز عميد الدراسات الثقافية.


تقديم

طالما شكل الأدب الإفريقي حيزا مجهولا لنا نحن سكان شمال إفريقيا على رغم انتمائنا المشترك إلى القارة السمراء، وعلى الرغم من أنّ الصحراء الكبرى لم تكن عائقا في التواصل بين شمال القارة وجنوبهاعبر التاريخ، إلا أن الاستعمار استطاع باستراتيجياته الكولونيالية أن يصنع ذلك الشرخ بين الشمال والجنوب، وإني لا أزال أتذكر تلك اللحظات التي كنا ندرس فيها بين يدي أستاذنا مصطفى فاسي بجامعة الجزائر _وقد كنا أوائل الطلبة الذين يتكونون في مجال الأدب الإفريقي_ فنضحك لغرابة وصعوبة نطق أسماء الشعراء والروائيين الأفارقة، فلا نحن كنا متعودين على أسمائهم وأسماء قبائلهم، ولا كنا نألف رؤية كتاب في المكتبات أو مقال على شبكة الانترنيت باستثناء تصويرنا للكتب التي وهبها الدكتور عبد الله الركيبي رحمه الله لمكتبة الجامعة قبيل وفاته.

لقد كانت إفريقيا عبر حقب تاريخية طويلة مدار أطماع العديد من الدول والمؤسسات الاستعمارية، ولعل تخلفها عن باقي قارات العالم مرده إلى تعرضها لأشرس حملة استعمارية في التاريخ بعد حملة الإبادة التي تعرض لها الهنود الحمر، وذلك لأن إفريقيا لا

تزال الخزان الباطني لثروات العالم، لهذا لا يستبعد أن تتوالى عليها الفتن والمؤامرات التي تحاك في مخابر الاستعمار الأوروبية والأمريكية، غير أن هذا الأمر لا يمنع من وجود مناضلين وطنيين وقوميين يسعون إلى الخلاص التام من كل أنواع الهيمنة، وهاهي الآن بعض الدول كجنوب إفريقيا ونيجيريا تنمو بسرعة على الرغم من الأوضاع السياسية التي لا تطاق.

من هنا -ولكوننا ننتمي إلى القارة نفسها- كان لزاما علينا أن نعود إلى حضن إفريقيا ونحاول التعرف على آداب أقوام شاركونا بناء حضارتنا الإسلامية، وألا نقع في كمين الاستعمار الذي فصل شمال القارة عن جنوبها بدعوى اختلاف اللغة أو العرق أو الدين، بيد أن هذا الاختلاف لا يشكل عائقا للاتصال البشري والحضاري بين الشعوب.

كان هذا الكتاب المتواضع محاولة بسيطة مني لتعريف القارئ بجانب هام لعب على وتره الاستعمار، ولا يزال يلعب عليه في منطقتنا العربية والإسلامية، كما حاولت إلقاء ضوء على كيفية تطرق الرواية وتصويرها لهذا الجانب راجيا من المولى العلي القدير أن يتقبل هذا

العمــل ويجعلــه خالصــا لوجهــه الكــريم، وصــلى الله علــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

الفصل الأول

الخطاب العرقي

تعتبر دراسة الخطاب العرقي من أهم المحطات التي نتوقف عندها في دراسة مسألة العرقية، والعرقية على أي حال تفرض علينا التعريج على هذا الموضوع لنرى كيف كان الخطاب العرقي أحد أهم الخطابات التي اعتمدتها الرواية في إفريقيا، ولهذا يجدر بنا -قبل الدخول في مسألة الخطاب العرقي- التعريج على مفهوم الخطاب.

مفهوم الخطاب:

اقترن مفهوم الخطاب كثيرا بعدة مصطلحات كالسرد، والنص، والحكاية[1]، والمقال، والحديث[2]، ورأى علي حرب أن كلمة خطاب انفرد بها كتاب المغرب العربي دون كتاب المشرق، وهو مصطلح كثيرا ما اشتهر في الدراسات الإيديولوجية أكثر منه في الدراسات العلمية والفلسفية[3]، وبما أننا في محاولة انتهاج مسار غربي؛ نرى أنه ينبغي علينا البحث عن هذه المصطلحات في معانيها الغربية التي نشأت في ضمنها، ولهذا فقد وجدنا أن لكلمة (Discours) أصلا لاتينيا هو

[1]- ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: 01، 2002 ص: 89.

[2] - ينظر: الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، د.م، د.ط، 2000، ص: 87.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 87.

(Discursus) ويعني الجري هنا وهناك[4]، وأول من استعمل الخطاب في الدراسات اللسانية هو بيسونس Buyssens سنة 1943م؛ حيث رأى أنه يمكن للخطاب أن يكون موضوع نظرية ألسنية؛ وعليه تكون هناك ضرورة لتأسيس ألسنية خطابية، وهي اليوم فرع أساسي في التداولية Pragmatique، وقد عرفه بنفنيست Benveniste[5] "بأنه قول يفترض متكلما ومخاطبا ويتضمن رغبة الأول بالتأثير في الثاني بشكل من الأشكال، وهذا يشمل الخطاب الشفهي بكل أنواعه، ومستوياته، ومدوناته الخطية، ويشمل الخطاب الخطي الذي يستعير وسائل الخطاب الشفهي، وغاياته كالرسائل والمذكرات، والمسرحيات، والمؤلفات التعليمية؛ أي كل خطاب يتوجه به شخص الى شخص آخر معبرا عن نفسه بضمير المتكلم"[6]، وجاء في تعريف دومينيك مانغنو Dominique Mangano: "ان مصطلح خطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات يحيل على نوع من التناول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد؛ فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين

---

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 90.

[5] - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، ص: 90.

في سياقات معينة"[6]؛ لأن الخطاب يندرج ضمن مجموعة متسلسلة من المقابلات[7]؛ وباعتبار اللسان نسقا يقابل الخطاب فإنه يشكل بذلك مجموعة حقول خطابية (الخطاب الشيوعي) (الخطاب السرياني)؛ وهكذا فالخطاب يعين النظام الذي يمكن من إنتاج مجموعة نصوص؛ فالخطاب الشيوعي هو مجموعة الخطابات التي ينتجها الشيوعيون بما في ذلك خطابات أخرى تدخل في حيزها توصف بأنها شيوعية[8]، ولعل هذا التعريف يحيلنا إلى نظرة الجابري -الذي نعتبره أهم مفكر عربي درس الفكر العربي المعاصر؛ فهو يرى أن الخطاب باعتباره مقول الكاتب أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء- هو بناء من الأفكار ويحمل وجهة نظر، أو هو وجهة نظر في حد ذاتها يصوغها الكاتب في بناء استدلالي منطقي؛ يبتدئ بمقومات وينتهي بنتائج، وهو يشبه إلى حد ما البناء من حيث استعمال المفاهيم كالمواد، وإقامة علاقات

---

[6] - دومينيك مانغنو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، 2008، ص: 38.

[7] - للتوسع في هذه المقابلات الكلاسيكية ينظر: باتريك شارودو ،ودومينيك مانغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2008، ص: 180.

[8] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 181 .

معينة مع تلك المواد ليشد بذلك بعضه بعضا (الاستدلال أو المحاكمة العقدية)، كما أن البناء (الكاتب) يختار أشياء ويهمل أخرى؛ ويبرر جوانب ويسكت عن أخرى؛ ويقدم ويؤخر؛ ويضخم ويبتر[9]؛ فهو يتحكم بالخطاب كيفما شاء وبالطريقة التي يريدها، وهو بمثابة الشكل للمادة؛ فقد يتغير الشكل حتى أننا نلمس أشكالا لامتناهية؛ حتى تحافظ المادة على ماهيتها محافظة الجوهر على ماهيته، وأما الخطاب باعتباره قراءة وحسب الجابري -المناصر لرأي قدماء المناطقة- فـ"هو ذلك البناء نفسه وقد أصبح موضوعا لعملية إعادة البناء أي نصا للقراءة، وكيفما كانت درجة وعي القارئ بما يفعل فانه لابد أن يمارس في ذلك النص ما يمارسه صاحب الخطاب عند بناء خطابه"[10]. فالقارئ يعيد إنتاج وجهة النظر التي حملها إليه الخطاب تصريحا أو تلميحا؛ مستعينا في ذلك بأدوات من عنده وهي تشكل ما يسمى بـ"تعدد القراءة"، وقد رآها -في دراسته للفكر العربي المعاصر- تتجلى في صنفين اثنين:

- **أولهما: القراءة التي تنحاز بنسبة كبيرة الى**

---

[9] - ينظر: محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليل نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط: 05، مارس 1994، ص: 10، 11 .

[10] - ينظر: المرجع نفسه، ص :11 .

المحافظة على ظاهر الخطاب، وتتوخى الوقوع في تأويلات النص وهي ما أطلق عليها مصطلح (قراءة استنساخية) و(القراءة ذات البعد الواحد)؛ لأنها تحاول قدر الإمكان أن تتبنى خطاب صاحب النص، ويوضح الجابري في سياق حديثه في هذا النوع من القراءة أن صاحبها (القارئ) لا يقدر أن تخلو قراءته من التأويل وإن حرص؛ بل هي تخلو -حسب رأيه- من الوعي بما تقوم به من تأويل؛ فهي تمارس الانتقاء من حذف وإبراز وتقديم وتأخير[11].

- أما ثانيهما: فهي قراءة لا تتوقف عند عتبة التلقي المباشر بل تساهم -إلى حد كبير- في مشاركة صاحب النص في إنتاج وجهة النظر التي يحملها خطابه، وتتأبى الوصف الظاهري والوقوف عند حدود العرض، وبهذا فهي تحاول جعل الخطاب أكثر تماسكا، وهي تعني من خطوتها الأولى كونها تأويلا (أي أنها ذات بعدين)؛ بُعد يتحدث منه صاحب النص؛ وبُعد يتحدث منه القارئ، يكون نجاحها متوقفا على مدى توظيف البعدين معا في إنتاج بناء واحد منسجم[12].

[11] - ينظر: المرجع نفسه، ص : 11 .

[12] - ينظر: محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ص: 12 .

في نظرنا الى مفهوم الخطاب يتضح لنا انه مصطلح اشتهر لسانيا أكثر منه نقديا، أو ربما نستطيع القول ان الخطاب الأدبي جنس من أجناس الخطاب المشهور بين اللسانيين؛ باعتبار أن موضوعه كان اللغة في بدايته وخاصة انه يعتمد على الأطراف الكلاسيكية للعمل التواصلي من مرسل ومرسل إليه ورسالة، وكثيرة هي الكتب والدراسات الأكاديمية التي لا تضبط مجال دراسة الخطاب اللهم إلا الجابري الذي نراه افلح -إلى حد كبير- في ضبط مفهومه بين تخصصات عدة؛ ففرق بين السياسي والفلسفي حيث تسنّى له ذلك من خلال ابتعاده عن المفهوم اللساني وانحيازه إلى مواضيع الخطاب وأفكاره العامة مما انتشر في مرحلة حاول فيها المفكرون العرب بعث أمتهم في فترة ما بعد الاستعمار (كمالك بن نبي، وأركون، وقطب، والعروي وغيرهم)، ولهذا صنف الجابري الخطاب في نقده الإبستمولوجي إلى خطاب عضوي، وخطاب سياسي، وخطاب قومي، وخطاب فلسفي؛ وبالتالي كان الجابري يرى أن الخطاب متعلق بماهية الفكرة، وما اللغة إلا آلية من آلياته وليست جوهر الخطاب كما يراه اللسانيون.

أما فوكو فقد رأى -من خلال بحثه في فلسفة الجنون- أن "التقليد الإنساني نظر إلى الجنون باعتباره جزءا من عالم

الخطاب"[13]، وعرّف الخطاب بقوله: "هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع المنطوقات Enoncés وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها"[14]، ويعرفه في موضع آخر على أنه "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي الى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لان تتكرر إلى مالا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ... بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[15]، والمنطوق هو ذرة الخطاب، وهي الجزء الذي لا يتجزأ فيه، والمنطوق -حسب رأي فوكو- هو أبسط جزء في الخطاب وعلاقته به كعلاقة الجزء بالكل[16].

هناك من يرى أن الأثر الأدبي: "صياغة مقصودة لذاتها، وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب النفعي بمعطى جوهري... فبينما ينشأ الكلام العادي من مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران والملكة نرى الخطاب الأدبي صوغا

[13] - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو، ص: 93.

[14] - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو، ص: 94 ، 95.

[15] - المرجع نفسه، ص: 95.

[16] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 95.

للغة عن وعي وإدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور الدلالات؛ إنما هي غاية تستوقفنا لذاتها"[17]، ويرى تودوروف أنه يمكن تعريف الخطاب الأدبي على أنه خطاب ثخن غير شفاف لا يُمَكِّنُك من تجاوزه أو عبوره، وهو حاجز بلوري طُلِيَ صورا ونقوشا وألوانا تصد أشعة البصر عن اختراقه؛ بينما يكون الخطاب العادي شفافا؛ نرى من خلاله معناه ولا نكاد نراه في ذاته[18].

نعم نحن نوافق أصحاب هذا الرأي إلى حد ما، لكن نرى في الآن ذاته انه يتعسر علينا إتباع هذا النهج في أدب مترجم؛ لأن الترجمة تقتل النص الأصلي وتعيد بناء نص جديد ما يتعذر علينا دراسة فنية لغوية للنص الأصلي، أما النص الخليفة (الثاني) فهو أبعد ما يكون عن النص الأصلي؛ فموضوع تحليل الخطاب الروائي لا يتجه نحو الرواية؛ وانما نحو الخطاب؛ لأن الخطابات تتعدد بتعدد الروائيين ولو اتفقوا على انتاج مادة حكائية واحدة، "فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكى، وحددنا لهم سلفا شخصياتها، وأحداثها المركزية، وزمانها، وفضاءها، لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم ومواقفهم

17 - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للعلوم، طرابلس، ط: 03، د.ت، ص: 115.

18 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 116.

وان كانت القصة التي يعالجون واحدة"[19]، وهذا الأمر ينطبق -بلا شك- على الترجمة حتى ولو حرص المترجم على حياة النص الأصلي .

لقد شكل هذا التنظير أزمة في دراسة الرواية المترجمة؛ لأنه تنظير لا يفرق بين نص أصلي ونص معاد نسيجُه ، ذلك أن النظريات الأدبية التي حاولت دراسة الخطاب اقتصرت على اللغة دون أدنى اعتبار لرؤية استشرافية يعيش فيها النص إلى زمن العولمة، حيث تجول فيه الروايات وسائر الأجناس الأدبية شتى أصقاع العالم متجاهلة حدود التاريخ والجغرافيا واللغة.

---

[19] - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن – السرد – التبئير، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط: 01، 1989، ص: 07.

وظيفة العنوان:

يعتبر العنوان أول ما يصادف قارئا عند تصفحه لرواية ما وهو أحد لوازم النص Paratexte التي لا تشكل جزءا حقيقيا من النص بل عتبة تفصل بين النص وخارجه[20] ولا تنفصل عنه؛ حاله حال المقدمة وعناوين الفصول والحواشي.

إن لوازم النص أو النص المصاحب -حسب تعبير دومينيك منغونو- جاء بغية إجلاء حضور النص وضمان حضوره في العالم، وتلقيه، واستهلاكه، والعناية به؛ مرتبطة بتطور الآفاق التداولية في تحليل الخطاب[21] .

قد انتشرت في النصف الأخير من القرن الماضي عدة دراسات تدور حول مسألة العنوان Titre نتجت عنها مصطلحات تشير إليها بنوع من الكناية: كهوية النص، المحيل أو الدال على النص، لافتة إعلامية أو ما أصطلح عليه جيرار جينت Gérard Genette باسم العتبة[22]، ورأى أن للعنوان أربعة وظائف:

---

[20] - ينظر: لطيف زيتوني، معجم المصطلحات نقد الرواية، ص: 140 .

[21] - ينظر: دومنيك منغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 91 .

[22] - ينظر: وافية مربيعي، الحوارية الخطاب الروائي: "الخباء" و "الباذنجانة الزرقاء" لميرال الطحاوي كأنموذجين، رسالة

- وظائف تعيينية تعطي الكتاب اسما يتميز به عن غيره من الكتب.
- وظيفة وصفية لها علاقة بمضمون الكتاب أو بنوعه أو بهما معا.
- وظيفة تضمينية وهي وظيفة وصفية تتعلق بالطريقة أو الاسلوب الذي يُعيّن به الكتاب.
- وظيفة إغرائية متصلة بالوظيفة التضمينية يكون من خلالها العنوان مغريا قارئه بغية اقتنائه وقراءته[23].

يشكل العنوان صورة مكثفة عن النص؛ يرى القارئ من خلاله ترجمة صورية موجزة تحيط بجوانب الموضوع؛ فهو جزء متصل صلة وثيقة بالنص "فأولى مراحل القراءة التأويلية herméneutique هي الحوار مع العنوان، ومعرفة مكوناته النوعية والجنسية"[24]، غير أن بعض الروائيين المحدثين يميلون إلى اختيار عناوين لا تصرح بموضوع

ماجستير، غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2006 /2007، ص: 91.

23 - ينظر: لطيف الزيتوني، معجم مصطلحات الرواية، ص: 126 .

24 - محمد سالم ومحمد أمين الطلبة، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، نقلا عن: لامية بوداود، تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر: رواية (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا، رسالة ماجيستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، د.ت، ص: 115.

كتاباتهم، والسبب في ذلك يعود الى "أن الفنان ينظر الى الواقع نظرة تأخذ بالظواهر ولا تأخذ بتفسيراتها، فيأتي العنوان معبرا عن هذا الوجه المتقطع المبعثر للواقع العام، وبالتالي لشِبْه الواقع المصوّر في الرواية، لهذا كان العنوان الحقيقي دائما أكثر أهمية للكاتب منه للقارئ"[25].

أما بالنسبة للروايات الإفريقية فقد تراوحت عناوينها بين التلميح والتصريح؛ كلٌ حسب ما يراه الكاتب أبلغ وأنسب، فقد يدل العنوان على شخصيات أو أماكن أو على برنامج سردي؛ فهو يختصر سلفا بمغامرة الرواية[26] خاصة وأن الكاتب يختم عمله الفني بانتقائه لعنوان إبداعه، وعنوان رواية (فتى المنجم Mine Boy) لبيتر أبراهامز هي أقرب ما تميل إلى التصريح دون التلميح فهي تحكي قصة الفتى الأسود الذي كان عاملا في منجم الذهب وكان المنجم مصدر قوته و رزقه ومنبع ثقافته "فالمكان الوحيد الذي يكون فيه حرا تماما هو باطن الأرض في المناجم، فهناك يكون سيدا ويعرف طريقه "[27]، ونسبة الفتى إلى المنجم دون غيره من الأماكن كان مقصودا لما في المنجم من أحداث متصلة اتصالا

---

[25] - ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات الرواية، ص: 125.

[26] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

[27] - بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ترجمة: سامي الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط: 01، د.ت، ص: 82.

مباشرا أو غير مباشر بالقفزات النوعية في تغير فكر الفتى زوما، وهو الأمر الذي لم يحدث في الريف أو المخمرة أو في المدينة بشكل عام، ثم إن المنجم -كما سبق وعبّر عنه الكاتب أبراهامز- هو المكان الوحيد الذي يحس فيه الفتى بكرامته، وحيث تأخذه نخوة السلطة والزعامة؛ فالعمال كانوا "ينفذون له ما لا ينفذونه لرَجله الأبيض، ولا لأي رجل أبيض أخر ... وكان رَجله الأبيض يحترمه، ويسأله عن رأيه قبل القيام بأي شيء"[28].

- **هل كان أبراهامز عرقيا في اختياره عنوان روايته ؟**

لا شك أن بنية العنوان مقصودة، واختيار أبراهامز رواية بطلها زنجي وخاصة بعد فشل تجربته الأولى في روايته (أنشودة المدينة Song of the city) سنة 1945م[29] لهو تبيان

---

[28] - المصدر نفسه، ص: 82.

[29] - هي رواية تشبه إلى حد ما رواية (فتى المنجم) وهي تحكي قصة فتى أسود هاجر من القرية إلى المدينة طلبا للقمة العيش، وبها يعمل خادما عند استاذ جامعي أبيض ويدخل في عالم السياسة فيقبض عليه، وعندما يفرج عنه يدخل في صراع مع مشاغبين بيض وهو ما يجعله يعود إلى قريته في النهاية رغم حبه الشديد للمدينة. ينظر: علي شلش، الأدب الافريقي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 112، مارس 1993، ص: 157،158.

لما تعانيه جنوب إفريقيا من ويلات العنصرية والتعصب العرقي بغض النظر إلى تاريخها، وإذا نظرنا إلى العنوان مع إهمال موضوع الرواية وفكرتها، فإن ذلك يجعلنا نترامى بين عدة فرضيات وهو الأمر الذي يفتح لنا المجال لطرح العديد من الأسئلة حول ما إذا كان العنوان يحمل صبغة عرقية، وهل كان أبرهامز يدافع عن الزنوج لأنهم عانوا من مشكلة الصراع العرقي لحقبة ليست بالقصيرة، أم أنه فقط يظهر عقدة دونية الزنجي عند مقابلة الأبيض حسب رأي فانون[30].

عنوان رواية (فتى المنجم) لا يأخذنا مباشرة إلى مراد الكاتب بل هو من العناوين التي تقلق المتلقي وتجعله يتيه بين معان متعددة وهذا ما يراه النقاد المحدثون ناجحا، لأنه ذو معنى متعدد[31]، وهذا لا يتضح إلا من خلال محاولة قراءتنا لخطاب الرواية، ولذا كان جرار جنيت يميز بين

---

[30] - ينظر: فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2007، ص: 156.

[31] - لا يمكن أن نمسك بمراد الكاتب من حيث كوننا نحلله من زاوية عرقية، حتى أن عرق الفتى يبقى هلاميا إذ يمكن أن يكون أبيض خصوصا وأن جنوب إفريقيا تعتمد مناجم الذهب في اقتصادها وهي الأماكن التي احتكرها البيض واستفادوا منها، وقد يكون الفتى أسود أو ملونا باعتباره يمثل طبقة العمال الكادحة في جنوب إفريقيا.

متلقي العنوان ومتلقي الكتاب، ذلك أن متلقي العنوان عنده هو الجمهور، والجمهور ليس مجموع القراءة وإنما هو مجموعة الزبائن الذين يقرؤون الكتاب بشكل جزئي، أما قارئ النص الذي يستهدفه الكاتب هو ذلك الشخص الذي يقرأ النص والعنوان قراءة تامة[32]؛ ولهذا كان تلقي العنوان دون قراءة النص كاملا يعتبر تلقيا قاصرا كما رأت ذلك نريمان الماضي[33]، أما إذا نظرنا إلى رواية نجوجي[34] (لا تبك يا ولدي) وقارنا عنوانها في الأصل "weep not child" فإن الياء المضافة في "ولدي" غير واضحة في رديفتها الإنجليزية، وكان الأولى أن يكون العنوان "لا تبك أيها الطفل" إلا أن لفظة "الطفل" في الإنجليزية يصح أن تقال للذكر والأنثى .

32 - ينظر: حسنية مسكين، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران: السانيا، 2014/2013، ص: 45.

33 - ينظر: حسنية مسكين، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 45.

34 - تجدر الإشارة إلى أن نجوجي واثيونغو هو نفسه جيمس نجوجي.

عنوان الرواية يصور في ذهن المتلقي مجموعة لوحات **(الطفل الباكي)** لجيوفاني براغولين **Giovanni Bragolin**[35]، وهو جملة خطابية انشائية غرضها النهي، يدعو فيها الكاتب طفلا إلى عدم البكاء، ولهذا فمن المؤكد أن يكون المخاطَب أسود ما دام الكاتب أسود؛ لأن النهي عن البكاء هو دعوة في الحين ذاته إلى الصمود، وهو دعوة كذلك لأن يتحلى الطفل بصفات الرجولة؛ فالطفل متعود أن لا يرى الرجال يبكون؛ لهذا كان الخطاب الموازي للعنوان **(كن رجلا)**؛ فالبكاء ليس من صفات الرجال؛ بل إن من صفاتهم أن يكونوا مسؤولين.

إذن فإذا افترضنا -كما سبق- أن الطفل زنجي باعتبار الكاتب زنجيا، وهو خطاب مواساة؛ فإنه يتعين أن نرى بين

---

[35] - هي إحدى اللوحات العالمية التي خرجت من سياق المنافسة المالية بعد أن تم تصنيفها كلوحات لا تقدر بثمن، وقد حصر الخبراء والمختصون تلك اللوحات في عشرة أعمال فنية في العالم حتى الآن، والتي اعتبرت من التراث الفني الانساني، وجاءت فكرة لوحة **(الطفل الباكي)** حينما كان الفنان يتجول ووجد طفلا حزينا يبكي في أحد شوارع روما، أين شده منظره وهو في ثيابه البالية وهيأته الحزينة، فرسمه ثم تبع ذلك بلوحات عديدة تحمل الموضوع نفسه تصوِّر مجموعة أطفال من الغجر بوجوه عابسة وعيون باكية، وهي الآن لا تقل شهرة عن لوحة **(الموناليزا)** لليوناردو دافنشي. ينظر: محمد عبد الرزاق، مقال: ثلاثية فرويد أغلى لوحة في العالم والموناليزا لا تقدر بثمن، جريدة المدينة، العدد: 18588، 2014/03/15، ص:31.

طياته أن للزنجي صفات مسكوتا عنها هي "الرجولة، القوة، المسؤولية، عدم الاستسلام والبكاء..." وهنا نلمس في خطاب النهي خطاب فخر بصفات الزنجي، وهي صفات يرجو المخاطِب من الطفل أن يتحلى بها.

إذا نظرنا إلى العنوان من خلال كاتبه (أي كون الكاتب زنجيا) ومن خلال سياق إفريقي، يمكن أن نرى أن البكاء سمة ملازمة لشعب مستعمَر؛ لأن السياق الإفريقي يفرض علينا أن نأخذ العنوان مأخذا سيمائيا. وبهذا كان الكاتب يخاطب أمة بأكملها وليس شخصا محددا، وبغض النظر إلى رمزية الطفل؛ فإن الكاتب كان يخاطب زنجيا من بني جلدته ولا يخاطب آخر، وهكذا فرمزية الطفل قد يُقصَد بها جيلا يعقب جيل نجوجي كما قد يقصد بها بلدا فتيا يخطو خطواته الأولى نحو الحياة والسيادة.

أما عند انتقالنا إلى غرب إفريقيا، ففي نيجيريا بالذات كان للرواية الإفريقية تطور ملحوظ ونضج متنام يتوارثه المبدعون جيلا فجيلا، حتى إن العناوين لم تعد كعناوين الروايات المتقدمة في إفريقيا، بل صارت إلى نوع من الرمزية التي تكاد تفتقر إلى قرينة حسية أو عقلية تربط بين العنوان والنص، أو بين العنوان وعوامل خارجية أخرى اجتماعية أو نفسية أو تاريخية "وفي هذه الحالة ليس على المتلقي إلا

الاستعانة بمخزونه الثقافي في البحث عن العلاقة بينهما"[36] (أي النص والعنوان)، أو الاستعانة بتفسيرات باطنية صوفية المنهج باعدت بين الاستدلالات والاستنتاجات، وزاوجت بين العقل -فيها- والذوق.

اختار غابرييل أوكارا لروايته عنوان (الصوت)، وللصوت مدلولاته في اللغة، وهي تتعدد بتعدد مواضعه في السياق وتتزايد كلما مالت اللغة إلى الانزياح، ولهذا فبِحكم أن نيجيريا لها قدمها الراسخة في العالمية من خلال أول نوبل تحصل عليها إفريقيا، ومن خلال العديد من الأوسمة الدولية، فإنه من المستبعد أن تكون لغة عنوان الصوت هي لغة المعاجم والقواميس، بل إن أوكارا جعل اللفظة مستقلة ليطلق عنان سياقاتها، وبذلك يقلق المتلقي فلا يستطيع الإمساك بمعنى (الصوت).

إن أوكارا يستفز كل من صادف عنوان روايته فلا يفرق بذلك بين إفريقي وغير إفريقي، وهو بذلك يمارس سلطة على المتلقي من خلال جعله مضطربا متصارعا مع المفاهيم، فأوكار لا يدنو من القارئ بل يحاول جعل القارئ أقل شأنا منه أو على الأقل يوهمه بذلك حتى يرقى المتلقي إليه.

---

[36] - حسنية مسكين، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 46.

إن كلمة (Voice) تخص صوت الإنسان أو الحيوان دون غيرهما، ولهذا نستطيع -وبحكم أن أوكارا إفريقي- أن يقول أنه صوت افريقي أو له علاقة بإفريقيا على الأقل، وبلا شك يفرض علينا المعجم أن يكون صوت إنسان إفريقي ولكن تعريفه بأداة تعريف (The Voice) أخرجته البلاغة من كونه اسما يدل على جنس إلى اسم يدل على صفة، وبذلك فالصوت لا يدل على الصوت بمعنى النطق أو الصياح وإنما صار (الصوت) صفة تدل التحرر، والرفض والتمرد، والمجاز هنا يترك لنا التفكير في كل ما تدل عليه هذه المعاني في إطار ما يستدعيه الحق.

لقد كان خطاب العناوين الثلاثة للروايات الثلاث مترادفا بين ما هو عرقي بشكل مباشر وبين ما هو عرقي بشكل غير مباشر، إلا أن خطاب العناوين يبقى معلقا بين الشك واليقين لا يحكم عليه إلا من خلال النصوص التي تكون إلى حد ما فاصلة في حكمها على عرقية الخطاب .

خطاب المادة القصصية:

منذ ظهور الرواية الواقعية -وهي مقارنة بغيرها- لا تزال تحافظ على قمتها وإن طرأ عليها بعض التعديلات التي جعلت من الواقعية واقعيات متعددة ولكن دون إهمال الجوهر " فالواقعي إن كان فنانا حقا لن يذهب إلى عرض الحياة في صورة فوتوغرافية ساذجة، ولكنه سيذهب إلى عرض صورة أكثر حقيقة وحيوية وكمالا من الحقيقة نفسها"[37]، ويرى كثير من الروائيين أن عملية نقل عالم الواقع إلى عالم الرواية هو بمثابة عملية مكر وحيل[38]، وهذا ما يساهم في عملية تشكيل الخطاب.

حاول الكاتب الزنجي أن يوضح بين أسطر روايته أشياء في شكل ومضات بين الفينة والأخرى، بين من خلالها مدى الصراع العرقي في الوسط الكولونيالي كما يوضح مدى معاناة الأسود من تسلط الأبيض عليه، وقد ذكر نجوجي واثيونغو أنه "يمكنك أن تتعرف على أراضي الأهالي السود بسهولة؛ لأنها حمراء اللون خشنة وضعيفة، في حين تتسم أراضي المستوطنين البيض بلونها الأخضر، كما أنها ليست مجزأة

---

37 - سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط: 01، 1985، ص: 105.

38 - ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص: 105.

إلى شرائح صغيرة"[39] فقد استحوذ المستعمِرون البريطانيون على أراضي الوطنيين أو من شركة إفريقيا الشرقية منذ القرن 19م، وطبقت بذلك سياسة نقل الأراضي إلى أيدي البيض التي وضع أساسها سير شار إليوت عندما عين مندوبا ساميا سنة 1900م، وكان مبدأ التخطيط هو جعل كينيا مستعمَرة للرجل الأبيض، وطبق لذلك النظام الإقطاعي فاعتبر الأرض ملكا للتاج البريطاني، على أن يكون أبناؤها الأصليون مستأجرين؛ وعليه يسهل نزع الأراضي منهم ونقلهم إلى مكان آخر طبقا لما تراه السلطات البريطانية[40]، كما تساهم الحكومة في دعم الفلاحين الأوروبيين لمساعدتهم في استغلال الأراضي، وحمايتهم من الخسائر ومنحهم أجود الأراضي وأوفرها إنتاجا حتى يحتكروا القوة الاقتصادية دون الإفريقي الأصيل[41]، وتسهيل ذلك عبر بناء قاعدة للبنى التحتية؛ فشقت لذلك الطريق وقد وصفه نجوجي واثيونغو "وكان الطريق الذي يمر عبر البلاد كلها طويلا وواسعا وليس له أول ولا آخر، وقد يعلم البعض أين يبدأ إلا أنك إذا سرت فيه فإنه سوف يقودك إلى المدينة الكبيرة، ويتركك

---

[39] - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 17.

[40] - ينظر: محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ط، 2006، ص: 133، 134.

[41] - ينظر: المرجع نفسه: ص: 134.

هناك ليواصل طريقه إلى المجهول... وقد يصل إلى البحر... تقول الإشاعات أنه جاء مع الرجل الأبيض، ويقول آخرون إن تمهيده وبناءه قد أعيد على أيدي الأسرى الطليان أثناء الحرب الكبيرة التي اشتعلت بعيدا عن هنا"[42]، وكذلك الأمر كان في جنوب إفريقيا فقد "كانت بلدة هوفلي مشروعا آخر من مشاريع الأبيض لإخراج الوطنيين والملونين من المدن، ولم يكن الوطنيون يحبون المواقع، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت كلها ممتلئة، وبالتالي فقد بدأ الرجل الأبيض في إقامة مثل هذه البلدة في الأطراف النائية لجوهانسبورغ على أمل قتل فريديدروب ومعسكر المالاي، ومن ثم قتل أماكن كثيرة بهذا الشكل"[43]، وكما أنك تعرف مزارع البيض من غيرها في كينيا فإنك تعرف في جنوب إفريقيا أحياء البيض من غيرها؛ فقلب المدينة كان يعرفه أي شخص من على مرتفع خارجها ليلا لأن "الأضواء التي تومض وتضيء وتنطفئ بألوان خضراء وزرقاء وصفراء، والأضواء التي تصنع دوائر والأضواء التي تصنع أحصنة، والأضواء التي تصنع بيوتا في السماء، كان هذا قلب المدينة، حتى المغفل يستطيع أن يعرف ذلك وكان... معسكر المالاي يقع إلى اليمين بصورة ما، ولكن

---

[42] **- جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 13.**

[43] **- بيتر ابراهامز، فتى المنجم، ص: 120.**

أين؟"[44] إنه في بقعة مظلمة ليس فيها سوى قليل من الأضواء وفي ناحية أخرى تقع فريديدروب[45].

اهتمت الرواية الواقعية كثيرا بالوصف وقد اهتم به العديد من كبار الروائيين أمثال بلزاك وفلوبر؛ وهذا ما جعل للوصف وظيفة جديدة أسمتها سيزا قاسم "الوظيفة التفسيرية"، فوصف مظاهر الحياة الخارجية من مدن، ومنازل، وأثاث، وأدوات، وملابس يكشف عن حياة الشخصية النفسية، ويشير إلى مزاجها وطبعها[46]، وفي الوقت نفسه بإمكاننا استخلاص ذلك النسق الفكري الذي حاول من خلاله الكاتب أو المبدع أن يُكوِّن مقومات إبداعه وإن حرص أشد الحرص على تمويهه وستره، وذلك من خلال تراث فريد أو باستخلاص القرائن ذات أوجه الشبه الدالة على ذلك أو من خلال تقمص شخصية الكاتب.

إنه عبر تحليلنا للخطاب الروائي في إفريقيا -وعلى مدى حقبة زمنية بين دفتي قرن أو نصف قرن من الزمن-

---

44 - المصدر نفسه ، ص: 179.

45 - ينظر: المصدر نفسه، ص: 179 –180. يمكن تفسير هذا التصوير الروائي تفسيرا رمزيا، و ذلك أن المدينة تمثل العولمة والحداثة ومركزها يمثل المركزية الغربية، وهو ما يمكن اعتباره من نتائج العرقية في طابعها الكولونيالي الرامية إلى بناء حكومة عالمية في شكل أفلاطوني ذي حقيقة إمبريالية.

46 - ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص: 110 – 111.

نستطيع أن نقول أن هناك ثلاثة أنواع من الروايات التي صورت صراع الأبيض والأسود، وبحكم كون الاستعمار سار تاريخيا على مراحل هي:

- المرحلة الأولى (مرحلة الاحتلال): التي تعتبر مرحلة القوة وفرض السيطرة بحكم الاستعمار المباشر الناهب للثروات المادية والفكرية.
- المرحلة الثانية (مرحلة الاستيطان): هي مرحلة تلي الأولى بعد حقبة من الزمن -بحكم مرور جيل أو جيلين- يكون فيها المستعمِر منهكا بعض الشيء فيحوِّل بذلك الصراع القَائم إلى مفاوضات يلجأ فيها إلى الخبث السياسي ليرسم خارطة للتعايش السلمي، وهو ما يتضح في شكل دول استيطانية تتكتّم عن سياستها العرقية.
- المرحلة الثالثة (مرحلة الاستقلال): هي مرحلة العنف الذي تحدث عنه فانون حين يرفض المستعمَر سياسة المستعمِر كليا؛ ما يؤدي إلى قيام الثورات التي يهدف من خلالها المستعمَر إلى التحرر كليا والانفصال عن كل ما يربطه بالآخر.

على هذا السياق نشأت مع المرحلة الثانية (الاستيطان) رواياتٌ يمكن أن نقول أن أبراهامز كان أهم من كتب فيها، ونشأت مع الثورة رواياتٌ يمكن أن يكون نجوجي واثيونغو

زعيم تيارها، ثم بعد الاستقلال جاءت موجة كتاب لا يرون مفهوم الدولة والهوية إلا في حدود الطريق الذي رسمه الآخر (الأبيض)، وهذا يمكن أن نطلق عليه مصطلح الهجنة كما أطلقه هومي بابا **Homi Bhabha** على المرحلة الثانية من تصنيفنا وفيه يحتل الموطن الكولونيالي حيزا "لا هو هذا ولا هو ذاك"[47]، ومن هذه النافذة نرى غابربييل أوكارا.

ومن جهة أخرى قد تكون الهجنة بعد الاستقلال هي نتاج صراع القائمين على إعادة بناء هيكلة الأمة، وكثيرا ما تتضح في صورة صراع الأصالة والمعاصرة الذي يغلي على نار الإيديولوجيات المتضاربة، والمتناقضة، والعاجزة عن إعطاء مفهوم للهوية الإفريقية. وهي تندرج تحت ما أسماه إدوارد سعيد "الاسترجاع البطيء للأرض الجغرافية" الذي يسبقه رسم خريطة الأرض الثقافية، وهي مرحلة المقاومة الثانوية العقدية؛ وفيها تُبذَل جهود لإعادة تكوين مجتمع منظم، ولإنقاذ وترميم حس المجتمع وحقيقته ضد جميع ضغوط

---

[47] - ينظر: ك.نلوولف، ك. نوريس، ج. أوزيون، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية: موسوعة كمبريج في النقد الأدبي، ج: 09، مراجعة وإشراف: رضوى عاشور، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط: 01، 2005، مقال: فردوس عظيم، ما بعد الكولونيالية ، ترجمة: شعبان مكاوي، ص: 342.

النظام الاستعماري كما يعبر عنه بايزل ديفيدسون[48]، بما في ذلك التعليم الذي يراه المواطن الواعي أنه ليس مفيدا للفرد وفقط؛ وإنما هو للوطن، فمن يتعلم إنما هو يتعلم لأمته برمتها، ومع أن الأرض هي كل شيء إلا أن "التعليم أمر طيب كمجرد خطوة لاستعادة الأرض التي ضاعت... والتعليم طريق شاق، غير أنه ليس باستطاعة المرء أن يفعل شيئا كثيرا بدون قطعة من الأرض"[49].

في مفهوم التفرقة العنصرية والصراع العرقي يحاول نجوجي واثيونغو أن يظهر بعض مظاهرها، من خلال إدراك بطله الصغير ذلك، حيث إن بطله سمع عنها غير أنه لا يعرف حقيقتها، فعلم أن كل عمل يقوم به الأسود الإفريقي ويفشل هو بسببها، وأنه ليس للأسود أرض بها، ولا يسمح لهم بتناول الطعام في الفنادق[50]. وبهذا نرى الافريقي على شاكلة بطل أبرهامز لم يتعود على حياة الأبيض، وقد حرم من أبسط ما يحتاج إليه في حياته اليومية، ربما أن الإفريقي يرى أن الأشياء التي يملكها الأبيض هي للأبيض فقط، و"من

---

48 - ينظر: إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، ط: 03، 2004، ص: 267، 268.

49 - ينظر حوار كاماو مع نجوروجي، جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 70، 71.

50 - ينظر: جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 114.

الحماقة أن يعتقد الأسود أنه بإمكانه الحصول عليها"[51]، ولعله من الطريف جدا أن يدخل الإفريقي إلى بيت الأبيض فيندهش؛ لأنه لم ير بيتا كذلك مطلقا "لم تكن هناك نار ولكن المكان كان دافئا"[52]؛ يشرب صاحبه النبيذ ويترك الزجاجة على المائدة دون أن يخاف الشرطة "كيف لشخص أسود أن يفعل ذلك"[53].

بين زنوجة نجوجي واثيونغو وإنسانية أبراهامز وعولمته يحاول كل طرف بعث روح العرق الذي ينتمي إليه من خلال المرجعية التي تعتمد عليها حضارته وثوابته، فأبرهامز يحاول من خلال (فتى المنجم) أن يجعل من حياة الأبيض نموذجا للحياة التي يفترض أن يعيشها الأسود في رسالة هي أشبه ما تكون دعوة تحضيرية تلمح أكثر مما تصرح، والمسكوت عنه أكثر من المتلفظ به، وخصائص شخصياته توحي بالخلفية التي اعتمد عليها من خلال تصويره لواقع زنوج جنوب إفريقيا، إن أبرهامز حاول التكلم على لسان الدكتور ميني -الشخصية التي تكاد تكون مقحمة في الرواية لولا أن زوما دخل بيته وسأله زوما: "إنه مثل بيوت البيض"- فقال: "لا يا زوما، ليس مثل بيوت البيض، إنه

---

[51] - بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: **84.**

[52] - المصدر نفسه، ص: **83.**

[53] - المصدر نفسه، ص: **84.**

بيت مريح فحسب، إنك لا تقلد الأبيض عندما تعيش في بيت مثل هذا، فهذا هو البيت الذي يجب أن يعيش فيه الإنسان لأنه جيد بالنسبة له، ولا يهم ما إذا كان أبيض أو أسود"[54].

أما نجوجو فقد اعتمد مرجعية روحانية، فرأى أن شعب الجيكويو الذي استولى الرجال البيض على أراضيه هو نفسه شعب بني إسرائيل... ولذلك فإنه بالرغم من أن الناس جميعهم أخوة؛ إلا أنه أنيطت بالسود رسالة خاصة لأنهم "شعب الله المختار" وأن جومو هو "موسى الأسود"[55]؛ وقد فوضه الله لكي يقول لفرعون الأبيض: "دعوا شعبي وشأنه"[56].

كما يجب لا ننسى أن للسودان مهديا أسود سميت دولته به[57] مع أن المهدي ليس بأسود.

إن هذه النرجسية العرقية في إفريقيا ليست وليدة اليوم، ولا هي مرحلة قصيرة من التاريخ، بل إن لها جذورا ضاربة في عمقه ظهر برعمها بعد أن ترعرعت في ذهن الأوروبي

---

54 - المصدر نفسه، ص: 96.

55 - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 89.

56 - المصدر نفسه، ص: 103.

57 - للتوسع في هذا المجال ينظر: محمد محجوب مالك، المقاومة الداخلية الحركة المهدية (1881- 1898)، دار الجيل، بيروت، ط: 01، 1987.

(الأبيض على العموم)، فصار ينفي الآخرَ شيئا فشيئا، وهكذا فقد أوجدت أوروبا على مستوى الإنسانية "أحقادا عرقية واستعبادا واستغلالا بل ومجزرة نازفة تمثلت في نبذ مليار ونصف مليار من البشر"[58]، لهذا كان المثقف المستعمَر يرى أن القومية متعلقة بحضارة إفريقيا ككل؛ لأنه لم ينقطع يوما عن كونه زنجيا، ولهذا كان عليه أن يظهر ثقافة زنجية[59].

أما في ما يخص الرواية التي تتحدث عما وراء الاستقلال فإن أوكارا صورة عن مجموعة الكتاب المطالبين بحياة يتوق إليها إنسان الاستعمار، لأن الثورة في أصلها هي ثورة على واقع المعيشة الضنك الذي عانت منه إفريقيا لعقود من الزمن، ولربما عدم رسم صورة معبرة عن أهداف الاستقلال جعل هناك تضاربا في الرؤيا حول مصير ومستقبل إفريقيا في ظل السيادة الوطنية، فمنهم من يرى أن العودة إلى الماضي هي من موجبات الحفاظ على هوية الإفريقي، ومنهم من يرى أن مواكبة عالم الأبيض هو ما يجب أن تكون عليه دول الاستقلال .

يرى أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci أن جميع الناس مفكرون، ولكن وظيفة المثقف أو المفكر في المجتمع لا يقوم

---

[58] - فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدرومي وجمال الأتاسي، دار الفرابي، لبنان، ط: 01، 2004، ص: 358.

[59] - ينظر: المرجع نفسه ص: 232.

بها كل الناس[60]، ولعلها دعوة أوكارا من خلال اختيار شخصية أوكولو، ومع أننا لا نلمس خطابا عرقيا مباشرا؛ إلا أنه يبدو لنا أن خطاب (الصوت) هو إحدى نتائج العرقية، وهذا ما رآه إدوارد سعيد في (الاستشراق) وآنيا لومبا Ania Lomba حين استدلت بنصوص أدبية وفكرية بغية كشف تلاعبات الأنظمة الكولونيالية بالهويات العرقية، ومحاولة هدم الهويات والخصوصيات الثقافية المحلية لمصلحة ثقافة المركز[61]، بكل بساطة يمكننا القول أن أوكارا يمثل سفير ثقافة الغرب في إفريقيا، وهو بهذا يطمح إلى حياة كانت تطمح شخصية إليزا إليها في (فتى المنجم) وكأن أوكارا يخفي ما صرحت به إليزا لزوما "إني أريد عادات البيض أشياءهم، أريد أن أكون مثل البيض، إني في داخلي لست سوداء، ولا أريد أن أكون سوداء، أريد أن أكون مثلهم"[62]، "إنه جنون المدينة[63]، هذا الذي يتملكني"[64].

---

[60] - ينظر: إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 2006، ص: 15.

[61] - ينظر: آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط: 01، 2007.

[62] - بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 79.

[63] - سبق وقد أشرنا أن المدينة في (فتى المنجم) رمز للعولمة والحداثة، وهذا ظاهر في خريطتها وفي جمعها لمختلف الأفكار

إن أوكارا في معرض سرده رواية (الصوت) يحاول أن يرينا كيف للنخبة أن تساهم في هدم ما بنته الثورة من خلال شخصية أبادي المتحصل على الماجيستير والدكتوراه، الدارس في أفضل جامعات بريطانيا وأمريكا وألمانيا[65]، وسواء كان الأديب أو شخصيته المتسلقة (أبادي) من أشد المتأثرين بثقافة الأبيض، إلا أن الرواية الإفريقية تقر بواقعية التهجين الذي عبر عنه هومي بابا في (موقع الثقافة)، الرامي إلى إنتاج تباين ثقافي بوصفه دواليل سلطة؛ "فالهجنة تتدخل في ممارسة السلطة لا لكي تشير وحسب إلى استحالة هويتها؛ وإنما لكي تمثل أيضا عدم قابلية التنبؤ بحضورها"[66]، وقد رأى فرويد في الهجنة التجزيئية استمرارا للحاجة الزنجية في الإقرار بالاختلاف، وبهذا يكون وجود معرفتين متناقضتين يشترط الأنا (أو الخطاب)[67]، بما في ذلك ما يعنيه الأدب الإفريقي من انشطار في هويته.

والذهنيات التي كلما سرنا نحو المركز اتسمت بنوع من الصفاء و الرقي.

[64] - المصدر نفسه، ص: 154.

[65] - ينظر: غابريل أوكارا، الصوت، ص: 24.

[66] - هومي .ك. بابا، موقع الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 01، 2001، ص: 209، 210 .

[67] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 210.

هذا هو الأمر الذي دفع نجوجي واثيونغو إلى كتابة (تصفية استعمار العقل) فهو يرى أن الاستعمار ما يزال السبب الأساس للعديد من معضلات إفريقيا، وقد وقع العديد من مثقفي إفريقيا ضحية خطة "إلى حد لم يعد فيه بعضهم قادرا على الشفاء، ولا على معرفة الأصول الاستعمارية ذات (فرق تسد) في تفسير الاختلافات الثقافية والصدامات السياسية تفسيرا يستند إلى الأصول الأثنية للمختلفين، لا رجل أو امرأة بمقدورهما اختيار قوميّتهما البيولوجية، ولا يمكن تفسير الصراعات بين الشعوب على أساس الثوابت"[68] وهو الأمر الذي دفع أوكارا كذلك إلى كتابة مقدمته للرواية (الصوت)، وفيها حاول أن يبين أن الإفادة من الصور الإفريقية والفلسفة الإفريقية والفولكلور والمجاز الإفريقيين متوقف على الترجمة الحرفية من اللغة الإفريقية المحلية إلى أي لغة أوروبية يتخذها وسيطا تعبيريا[69].

لقد تباينت خطابات الروايات الثلاث بناء على سياقاتها السياسية، والاجتماعية، ومرجعيات كتّابها الثقافية، والإيديولوجية، ليتعدد بذلك الخطاب العرقي ويتنوع آخذا صورا ناصعة أحيانا وضبابية أحيانا أخرى؛ تتفاوت فيما بينها

---

[68] - نجوجي واثيونغو، تصفية استعمار العقل، ترجمة: سعدي يوسف، دار التكوين، دمشق، د ط، 2011، ص:16.

[69] - ينظر: مقدمة غابرييل أوكارا على رواية الصوت، ص: 05.

في نسبة التعصب العرقي، لا نرى إلا مدى احتكاك طرفي المعادلة (الأسود والأبيض) سببا لذلك، بحكم تصوير كل رواية لمرحلة من مراحل تسلّط رجل أوروبا على الإفريقي.

الفصل الثاني

الشخصية العرقية

مفهوم الشخصية:

لا شك أن الشخصية هي مدار الرواية والقصة كما أن الإنسان هو مدار العالم، وهي -بالنسبة إلى الكاتب- السبيل الأنجع للتعبير عن رؤيته وتصويره للعالم المتخيل لديه؛ لتجسيد نظرته إلى العالم، وقد جاء تعريفها في (معجم مصطلحات الرواية) على أنها "كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف"[70]، والشخصية تختلف عن الشخص على الرغم من مزجها في مفهوم واحد خطأً من بعض من درسوها، و"قد كان التصور التقليدي للشخصية يعتمد أساسا على الصفات، مما جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية (personnage) والشخصية في الواقع العيني (personne)...إن بطل الرواية هو شخص في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص"[71]؛ فالشخصية ليست شخصا، والراوي باستطاعته أن ينسب إلى شخصيات رواية أقوالا وأفعالا ومشاعر لم يذكرها التاريخ عن شخصيات تاريخية، وإن تشابهت الشخصيات التاريخية مع

---

[70] - لطيف زيتوني، معجم مصطلحات الرواية، ص: 113، 114.

[71] - حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 01، آب 1991، ص: 50.

الروائية فهذا لا يعني أنهما متطابقان أو يمثلان الشخصية نفسها؛ وإنما تبقيان منفصلتين، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول أن "الشخصية دور والأدوار متعددة ومختلفة"[72]، وعلى رأي تودوروف فـ"الشخصية هي موضوع القضية السردية...وهي تختزل إلى وظيفة تركيبية محضة، بدون أي محتوى دلالي بالإضافة إلى الأحداث التي تلعب الصفات في قضية دور المحمول، وأنها ليست مرتبطة بالفاعل إلا بصفة مؤقتة"[73]، والشخصية هي مدار أحداث الرواية، وهي صانعة التوافق والاختلاف، ومحركة الصراع الذي ينسج حبكتها وحلّها، و"يمكن تسمية الشخصية مجموعة الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي، و يمكن أن يكون هذا المجموع منظما أو غير منظم"[74]، أما غريماس Greimas فيستخدم مصطلحي العامل والممثل[75] بدل مصطلح الشخصية، وهو ينطلق من ستة أدوار ثابتة ممكنة (العوامل)، وقد تمثل الشخصية دورين أو أكثر كما تمثل أكثر من شخصية دورا

---

72 - المرجع السابق، ص: 114.

73 - تزفيتان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، 2005، ص: 73.

74 - المرجع نفسه، ص: 74.

75 - للتوسع في هذين المصطلحين ينظر: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص: 54، 55.

واحدا[76].

إن مهمة الكاتب أو القاص -على رأي محمد يوسف نجم- إنما تنحصر في نقل القارئ إلى حياة القصة ليعيشها، ويعترف بصدق التفاعل بين الشخصيات والأحداث، وهذا يتيسر بتصوير الشخصيات في حياتها الطبيعية الخاصة واستيحاء الواقع لا من خلال تاريخه وإنما بكون ذلك استشرافا، حيث يقنعنا الكاتب بإمكان حدوثها ووجود مثل هذه الشخصيات في حياتنا[77]، وبما أن الشخصية تمثل صراعا لا يخرج عن الفضاء الواقعي فإنها تعالج الأفكار الكونية التي تتفق مع الوجود الإنساني، وتتحكم فيها الطباع الإنسانية بشتى أشكالها، وتصور صراع المتناقضين (خير/شر، أخلاق/تفسخ، أصالة/معاصرة...إلخ) بغض النظر عن النهايات المثالية التي تكون غالبا مفروضة على الكاتب بطريقة أو بأخرى؛ لإبراز تفوق القيم الإنسانية، وبغية بعث الأمل في المتلقي، وهو ما يظهر في انكسار شوكة الشر، أو زواج البطلين، أو التحرر والانعتاق، غير أننا نلحظ في روايات إفريقيا (أو في نماذجنا الثلاثة على الأقل) نهاية تشبه إلى حد كبير النهايات الشيكسبيرية التراجيدية للبطل

---

[76] - ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات الرواية، ص: 115.

[77] - ينظر: محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط: 05، 1966، ص: 10، 11.

فهي تتراوح بين فقدان الأهل[78]، والوقوع بين يدي الشرطة[79]، والحكم بالإعدام[80].

إن الشخصية -وباعتبارها المحرك الأساسي لسيران الرواية- حازت في الرواية الإفريقية مكانة لا تقل أهمية عن مكانتها في نظيراتها من الروايات الأخرى، وبناء على هذا فإن الدراسة تفرض علينا المرور على هذا العنصر المهم؛ لما له من فضل في تحريك أحداث الرواية ولما يحمله من أقوال، وأفعال، وطرائق تفكير، توصل أو تفرِّق بين الأنا والآخر.

---

[78] - ينظر الفصول الثلاثة الاخيرة من: جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 219-236.

[79] - ينظر: بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 218.

[80] - ينظر: غابرييل أوكارا، الصوت، ص: 88، 89.

تكوين الشخصية العرقية في الرواية الإفريقية:

إن الروايات الإفريقية الثلاث تمثل في نظرنا كتابة أخرى لأشهر ما كتب فلاسفة العصر المعاصر، وإننا إذ نقرأ (لا تبك يا ولدي) فكأننا نقرأ إدوارد سعيد في مدونة أدبية؛ فهي إلى حد كبير معالجةٌ لمواضيع تطرق إليها إدوارد سعيد في كتابه (الثقافة والامبريالية)، هذا إن لم نقل أن جلّ روايات نجوجي واثيونغو تتفق مع كتب سعيد، لأنها تعالج قضايا الإمبريالية بآلياتها المختلفة، بل إن واثيونغو يحاول من خلال رواياته تبيين خطرها الداهم في صورة مؤسسات اقتصادية وتعليمية وجمعيات خيرية ومنظمات حقوقية، كما أوضح خبرتها في اختراق الثورات التحريرية بغية إبقاء الاستعمار في شكل جديد يتماشى وتوجهات أجيال ما بعد الاستقلال، في حين أننا حينما نريد أن نفهم فانون فإن (فتى المنجم) لبيتر أبرهامز كفيلة بذلك، وتغنينا عن عناء فهم التنظير، ذلك أن (فتى المنجم) تعالج معظم الحالات النفسية التي تطرق لها فانون وشرحها في (بشرة سوداء)، بينما (الصوت) لأوكارا فهي إلى حد بعيد نقد لأفكار كتابي (صدام الحضارات) لصامويل هنتنغتون، و(نهاية التاريخ وخاتم البشر) لفرانسيس فوكوياما، غير أننا لا نستبعد أن أوكارا قرأ الوجودية وتأثر بها وقد كانت موضة جيله، حيث

توجههم بطريق مباشر أو غير مباشر نحو العولمة في قافلة توحدت عاداتها، وثقافاتها، ورؤاها، ولهذا فقد كان هناك تطابق جوهري بين أفكار هذه الكتب ما انعكس سلبا أو إيجابا على بناء الشخصية الروائية؛ فالشخصية الروائية هي صورة لهذه الأفكار الراسخة في فكر الروائي التي لا يمكن تحليلها -حسب رأينا- إلا في إطار خلفيتها التي فصّلت مقاسَها.

في بلد مستعمَر ككينيا تنشأ كل أنواع الصراعات (الثقافية، والاجتماعية، والسياسية)، وتظهر الفروق بين شخوصها لتصنع بذلك شخصيات متعددة كما يفرضه كل ظرف استعماري، وقد كان اللون أبرز ما يظهر من هذه الفروق كون أن باقي الفروق يمكن أن تتلاشى إذا أراد المرء ذلك.

إن صفة اللون تبقى صفة لازمة تفرق بين المستعمِر والمستعمَر، وهي بالذات تظهر تمايزا في الثقافات، والعادات، والأفكار؛ وهو أمر لمسناه -كذلك- في جنوب إفريقيا كونها دولة مستوطنة؛ والفرق بين المستعمَرة والمستوطَنة[81] -وفقا

[81] - ما نقصده بالمستعمَرة والمستوطنة هو أن المستعمَرة تكون في الغالب ذات طابع عسكري مفروض على السكان الأصليين، والثورة فيها تكون مطالبة بالاستقلال التام عن الدولة المستعمِرة كما هو الحال في كينيا، أما المستوطنة فتغلب عليها المدنية أكثر وتكون فيها الثورة مطالبة بمزيد من الحقوق أو

لهذا الاعتبار- ضئيل إلى درجة كونه ينعدم، فمن حيث العمران -باعتباره إحدى الصفات التي تظهر الفروق الاجتماعية- فإن المستعمِر (الكيني) هاولندز في (لا تبك يا ولدي) كان يملك منزلا كبيرا ومهيبا، وأفخمَ من منازل أصحاب الأرض مهما كانوا مقربين من المستعمِر في حد ذاته[82]، كما كان الأحمر (المستوطن في جنوب إفريقيا) في (فتى المنجم) يملك الشيء نفسه، إضافة إلى أشياء لا يملكها السود، ولا يطمحون إلى امتلاكها[83]، بل حتى طبيعة المدن وبناؤها وجغرافيتها صنعت فارقا شاسعا بين من هو أسود ومن هو أبيض وهو ما جعل المجتمع يفور فورانا.

في هذا السياق يرى مانوني أن "العمال البيض في جنوب إفريقيا يظهرون عرقيين وأحيانا أشد عرقية من الحكام ومن المستخدمين"[84]، وهو الرأي الذي رفضه فانون في معالجته لهذه المسألة، ورأى أن القول بأن "العرقية هي من صنع المرؤوسين ولا تلزم النخبة" هو قول باطل يطلقه العاجزون عن التفكير السليم؛ فالعرقية نتيجة أسباب غارقة في

بالمساواة بين المعمرين والسكان الأصليين كما هو حال دولة جنوب إفريقيا.

82 - ينظر: جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 67.

83 - ينظر: بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 83، 84.

84 - فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص: 87.

التاريخ البشري، دعمته مؤسسات كانت تعلم ما ستجنيه من ورائها، ولا ننكر ما مدى تأثير هذا على البيض عموما، ولهذا فحسب فانون فإنه يمكن أن نقول أن شخصية الأحمر في (فتى المنجم) تحوي بعض المثالية لأن الوعي الجمعي (collective Conscience)[85]-وبمساعدة ظروف اقتصادية وسياسية- يحتم وجود عرقية ولو بنسبة قليلة[86].

---

[85] - الوعي الجمعي هو وعي الأفراد بالعلاقات الاجتماعية بينهم وبتجاربهم المشتركة، وقد ينمو هذا الشعور نحو الاشتراك في تحمل مسؤولية النهوض بمجتمعهم، كما يطلق على الشعور الجمعي أيضا (conscience sociale)، ينظر: أحمد زكي بدوي، مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص: 81.

[86] - يبقى هذا النقد موجها إلى الكاتب أبراهامز وليس إلى شخص الأحمر الذي يمثل في الأخير دورا، ومع أننا نلمس واقعية في (فتى المنجم) إلا أننا نراها تنتمي إلى تيار الوعي الذي يهتم بالحالات الشعورية ويركز عليها؛ لهذا كان الأحمر يلعب دور المعتدل أو المتخوف من الآخر (الملون) نوعا ما، وشخصيته الى حد ما يمكن تشبيهها بالمعيار الخفيف الذي يحاول أن يعادل بين كتلتين متقاربتين حتى لا يقع الكاتب في فخ التعميم في الحكم على البيض بالنرجسية البيضاء، لهذا نلمس بعض التصنع في شخصية الأحمر ولباختين في مثل هذا تفصيل مفاده ألا تعطي الرواية لشخوصها خطابا مباشرا، وألا تشخص سوى أفعالها غير أن في التشخيص الذي يقدمه الكاتب، إذا كان جوهرا وملائما فإننا سنسمع بالحتم رنين كلام الأجنبي، كلام الشخصيات ذاتها في نفس الوقت الذي نسمع كلام الكاتب.

وعلى كل حال فإن الرواية الإفريقية صورت مجتمعا دون التطرق إلى شخصيات هي من صناع القرار، ولهذا فإن المجتمع هو المتحكم الرئيسي في بناء سيكولوجية الفرد وتوجيهه، والمجتمع الهجين يكون أكثر عرضة للصراع باعتبار تباين أفراده، وظهور أوجه اختلاف أكثر من أوجه تشابه، أو ربما تنعدم أوجه التشابه هذه لكون الفجوة بين الطبقتين أكثر اتساعا؛ ومن هنا حاول الماركسيون تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية من خلال زاوية اقتصادية، وهي على الرغم من نجاعة تطبيقها أحيانا إلا أنها لا تعطينا نتائج مضبوطة في مجتمع كولونيالي تتسع فيه الفجوة بين الطبقتين إلى أقصى ما يمكن أن تكون.

إن مسألة الوعي الطبقي لا يمكن أن نفهمها في مجتمع هجين (استعماري) إذا لم نربطها بنظرية فانونية؛ ذلك أن هذا الوعي الطبقي يساهم -إلى حد بعيد- في بناء طبقتين من الشخصية هما: شخصية فوقية وشخصية دونية، متناقضتان تماما[87]، تتوسطهما شخصية متأثرة بمدى هذه الفجوة ويغذيهما العنف؛ ترفض الأوضاع بمستوياتهما

ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص: 104.

87 - للتوسع في موضوعهما ينظر: فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء.

المتعددة (السياسية، الاجتماعية، والاقتصادية)[88]؛ تثور على الاستعمار كونه السبب الرئيس في رسم المجتمع على صورته المجحفة في حق الأسود، وإنّ "محو الاستعمار ليس ثمرة عملية سحرية بل عملية تاريخية لا يفهم إلا من خلال إدراك الحركة الصانعة للتاريخ، وهو نزال بين قوتين متعارضتين"[89].

وقد تتعدى مسألة العرقية فيعتبر كلُ من تعاون مع الأبيض المستعمِر ضدَ المصلحة السوداء كلها، بل قد يكون الأسود المتعاون مع الأبيض أخطر من الأبيض نفسه حسب ما صورت (لا تبك يا ولدي)؛ لأن الظرف الاستعماري يفرض شيئا من الحزم لسيران عملية محو الاستعمار، ونجوجي واثيونغو إذ يبني شخصيات ثورة الماوماو في رواياته يعود إلى مسيرته الشبابية بين أفرادها؛ فتكون بذلك شخصية بورو نموذجا لتفكير الثوريين الكينيين ومنهجهم في محو الاستعمار، وهو ما أوصل بورو إلى اتهام أبيه بخيانة الأرض كونه يخدم هاولندز الأبيض في أرضه[90]، بل إنه لم يعد يريد حرية الأرض فقط لأنها قد تعود يوما، ولأنه فقد الكثيرين ممن

[88] - للتوسع في موضوع العنف ينظر: فرانز فانون، معذبو الأرض، ص: 25-93.

[89] - المرجع نفسه، ص: 26.

[90] - ينظر: جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 72.

يحبهم؛ فالأرض تعد انتصارا رخيصا[91]، وقد صار الانتقام هو الهدف الوحيد الذي يُلهب حماسه وجرأته، وكان إذا ما قتل جنديا أبيض يشعر بأنه انتقم لأخ له كان قد قُتل[92].

هذا الانتقام الذي تحدث عنه بورو هو نتيجة ضغط ومعاناة عاشها الأسود حتى في جنوب إفريقيا مع كونها دولة استيطانية لا تُصرح بالاستعمار، لهذا أعطانا أبرهامز مشهدا تتضح فيه مسألة العنف والحقد وأسبابهما بصورة جلية، وهو لحظة إصدار الحكم في حق ليا الملونة يقول: "وقفت ليا في القفص الصغير الذي يضعون فيه كل المساجين، وابتسمت له، وكانت عيناها هادئتين وودودتين، وعندئذ قال الرجل الأبيض: إنها لابد أن تذهب إلى السجن تسعة أشهر. ووضعوا صورتها في صحيفة الرجل الأبيض، وخارج المحكمة كان هناك شاب يقول للجميع: إن البيض يبيعون البِيرَة وغيرها من المشروبات ولا يدخلون السجن... لماذا يكون الأمر خطأً إذا باعت ليا البيرة، وصوابا إذا باع شخص أبيض؟"[93].

بما أن البيئة الاستعمارية تختلف عن البيئة الاستيطانية لكون الأولى ذات طبقات متباينة يغلب عليها النظام

---

[91] - ينظر: جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 179.

[92] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 180.

[93] - بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 201.

العسكري الذي يفرق السكان الأصليين والمستعمِرين تفريقا علنيا فإن تبعية بعض الخونة جعلتهم من طبقة أرقى مما يعيش فيه عامة الشعب الكيني، ولهذا نرى جاكوبو يملك منزلا أقرب بكثير في تصميمه إلى منازل المعمرين مثل هاولندز وغيره[94]، واستغل نفوذه وتقربه من المستعمِر ليملك مثل المستعمِرين، وقد أُشيع أنه سعى إلى منع إعطاء تصاريح لغيره لزراعة البيريثرم، كما أنّ الفلاحين البيض لم يسمحوا للإفريقيين بزراعة أي محصول رئيسي يُدفع ثمنه نقدا؛ لأن ذلك قد يُسيء إلى نوعية الإنتاج ومستوياته[95]، ولهذا كان كاماو يقول لـ نجوروجي عن جاكوبو: "إنه عدوّ السود ولا يريد لغيره أن يكون غنيا مثله"[96] بحكم أنه تحت حراسة المستعمِر[97]، ومن غير المستبعد أن نجده عند إضراب السود في فريق الأبيض ويحث أبناء جلدته على العودة إلى أعمالهم، وعلى ألا ينصتوا لأولئك الذين جاءوا من نيروبي، الذين ليس لديهم ما يفقدونه إذا ما فقد الناس أعمالهم[98].

---

[94] - ينظر: المصدر السابق، ص: 67.

[95] - ينظر: جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 73.

[96] - المصدر نفسه، ص: 106.

[97] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 120.

[98] - ينظر: المصدر نفسه، ص: 104.

لقد تأكدت خيانتُه، ولم يخطئ الناس في الحكم حين رأوا أنه لو كان رجلا أبيض لكان من الممكن أن يُغتفر له أما أن يكون رجلا أسود مثلهم فإن ذلك يعني أنهم هم السود لن يتحدوا مطلقا ولابد أن يكون بينهم خائن[99].

إن هذه الشخصية الما بين شخصيتين هي شخصية ومّاضة تظهر مع جيل وتختفي مع آخر، غير أن مع ظهورها تحرك الأحداث وتصنع التاريخ، والثورة على الفوقية ليس أمرا مبنيا على وجود الشخصيتين معا، فقد يكون المجتمع هادئا غير ثائر ما لم يصل العنف إلى درجة أن يُؤْذَن لجيل كجيل بورو أن يولد، غير أن الرواية العرقية صورت نوعا آخر من الثورة وهو **(العرقية المضادة)** أو ما اصطلَح عليه رواده بـ **(الزنوجة)**، وهي تعبر عن رفض الشخصيات للعرقية البيضاء على وجه الخصوص، إذ أنها بمثابة ردّ فعل على الفوقية البيضاء، ويمكن أن نتكلم عنها فيما سيأتي كونها شكلا من أشكال الفوقية بصفة عامة، حيث أنها تتجلى في الروايات على شكل تصرفات وأحداث وأنماط تفكير.

إن علاقة الفوقية بالدونية والشعور بهما تشبه إلى حد كبير علاقة البيضة بالدجاجة، أو تتابع حلقتي اليين واليانغ في الفلسفة الصينية؛ فهما ضدان متلازمان وعاملان يخدم كل

---

99 - ينظر: المصدر نفسه، ص: 107.

واحد منهما الآخر، وهما شكلان تتجلى فيهما العرقية لعدة أسباب، وقد حاولتْ الرواية الإفريقية تصوير جانب منها ليس لأنها تريد تصوير ذلك وفقط، بل لأن العرقية تفرض وجود هذين العاملين، فهما لا يعتمدان على الظرف الاستعماري فحسب، بل يمكن أن يكونا في مجتمع يعيش ذروة حريته، وإن هذين المصطلحين يمكن فهمهما - كما سبق ونوهنا- من خلال قراءة (فتى المنجم)؛ فهي الرواية التي صورت علاقة العرقين الأبيض والأسود؛ وركزت على هذين الوترينْ باعتبارهما أبرز صورة يمكن أن نرى من خلالها المجتمع الإفريقي الجنوبي.

أراد الكاتب أبرهامز أن يرفع من شأن الأسود ويحاول أن يوضّح أنّ الأسود هو المسؤول عن شعوره بالدونية؛ لأن التقاء الزنجي بالأبيض يسبب انهيارا للأنا، وبما أن الملوّن لا يكون فعالا، فهو يحاول أن يكون الآخر (الأبيض) لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يُثمِّنه[100]، وجعل أبرهامز لذلك نموذج فتاة مثقفة عاشت حياة البيض ولا تزال تطمح إليها[101]، وإن وجود هذه الصفة في رواية أبرهامز هو نتيجة البنية السياسية والاجتماعية لجنوب إفريقيا التي لا نجدها في كينيا

---

[100] **- ينظر: فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص: 156.**

[101] **- ينظر: بيتر أبرهامز، فتى المنجم، ص: 45.**

مثلا، فسياسة الدول الاستيطانية يحكمها اعتباران:

- **الأول: "عنصري" نتيجة شعور المستوطنين بالتفريق إزاء السكان الأصليين.**
- **والثاني: "اقتصادي" وهو شعور المستوطنين بقدرتهم على استغلال السكان الأصليين كيَد عاملة رخيصة[102]، ترفع من رأسمال الرجل الأبيض وتبني سيادته وتوسع نفوذه عبر مناجم الذهب التي كوّنت جبالا من الرمال البيضاء أقامها رجال سود[103] "يظلّ بها تراب الذهب يمضي صاعدا ليجعل الرجال أثرياء وأقوياء"[104].**

لربما في رواية أبرهامز لا نجد صورة أبيض ينظر إلى الآخر نظرة فوقية، غير أن هذا الأمر يُعتبر من المسكوت عنه،

---

[102] - ينظر: مجدي حماد، النظام السياسي الاستيطاني، دراسة مقارنة إسرائيل وجنوب إفريقيا، دار الوحدة، بيروت، ط: 1، 1981، ص: 186-187.

[103] - ينظر: المصدر السابق، ص: 39.

[104] - المصدر نفسه، ص: 133. يصنف الكاتب عمال منجم الذهب بين الثراء والقوة بمعنى البيض؛ فالأبيض في مفهومه لا يزداد إلا ثراءً كونه المستفيد الأول من ذهب السود الذين لا يستفيدون منه إلا القوة التي يعني بها أبراهامز العمل البدني والجهد الذي على كواهلهم من خلال عملهم تحت حكم البيض رغم أن الأرض أرضهم والذهب ذهبهم.

الأقوى دلالة كما عبرت عنه فلسفة اليين يانغ[105] إذ أنّ بين دفتي الحصول على البياض واحتقار الروح السوداء في شخصية إليزا هناك فوقية أكثر قوة في الأبيض أثرت في الأسود ليسعى إلى اكتساب أشياء البيض و"الدونية هي المقابل المحلي للفوقية الأوروبية... إنّ العرقي هو الذي يصنع الدوني"[106] ويكون ذلك بالإقصاء المتعمد من الذات الأوروبية التي تمثل (المستعمِر)، كما هو الحال في الروايتين الكينية (نجوجي واثيونغو) والإفريقية الجنوبية (بيتر أبرهامز) بما في ذلك الرواية النيجيرية (غابرييل أوكارا) حتى وإن كانت تعالج مواضيع ما بعد الاستعمار؛ فالمستعمَر يُفْقِرُ ذاته من خلال التحلي بقيم المستعمِر، وهي سمة تتعلق بكون ظاهرة (سحق المستعمَر) عنصراً من منظومة القيم الاستعمارية" فعندما يتبنى المستعمَر هذه

---

[105]- يقول لاو- تسو: "هاتان القوتان على تعارضهما متعاونتان ولا قيام لإحداهما في معزل عن الأخرى؛ فهما أشبه بالقطب السالب والقطب الموجب في قضيب المغناطيس وفي التيار الكهربائي... إنها تنشأ معا ويتخذ كل ضد معناه من ضده وحيث الوجود وكل مظاهره في حالة تناوب تلقائي". ينظر: لاو-تسو، كتاب التاو تي- تشينغ: إنجيل الحكمة التاوية في الصين، ترجمة: فراس السواح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط: 01، 1998، ص: 10،09.

[106] - فرانز فانون، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص: 93-94.

القيم فإنما هو يتبنى ضمنا إدانته الخاصة"[107]؛ لهذا نرى "أيام السبت تأتي الشابات من التل و بيريا، وبارك تاون إلى معسكر المالاي، وكن يلبسن ملابس مثل النساء البيض، وإن تكن فقط ذات ألوان أكثر، لأنهن يفضلن الألوان الزاهية"[108].

كان واثيونغو أكثر تصريحا لهذه الإدانة في مقطع يصف فيه جوليانا حيث "قالت بصراحة إنه لو كان الاثنان (نجوروجي والغلام الآخر) اللذان أساءا التصرف هما من أطفالها لكان من المحتم أن يُمضيا يومين بلا طعام، وأضافت: إن أولادها لا يمكن أن يتصرفوا بهذه الكيفية لأنها ربتهم وعلمتهم آداب السلوك واحترام أصول المدنية "[109]، وأضاف في تبيين ذلك أنّ "من رأيها أن يُربى جميع الأطفال بالكيفية التي تربى بها أطفالها، وأنها إذ تعلم أن الناس لا يربون أطفالهم بهذه الكيفية فعلا، فإنها لا تحب لأولادها مطلقا أن يخالطوا أبناء البيوت البدائية"[110].

أما أوكارا في (الصوت) فيمكن فهم بناء شخصياته العرقية

---

[107] - ألبير مامي، صورة المستعمِر، ترجمة: ميشال سطوف، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2007، ص: 125.

[108] - بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 25.

[109] - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 37.

[110] - المصدر نفسه، ص: 37.

من خلال العودة إلى حلقة يين يانغ في الفلسفة الطاوية، والتي نستطيع بها أن نفهم المسكوت عنه؛ وذلك أن في كل دالّة شيئا من التلميح إلى ضدها، فعلى الرغم من وجود مقتطفات تصرّح بالعرقية وشخصياتها إلا أننا نستطيع استخلاص جانب منها.

يمكن اعتبار رواية (الصوت) من الأدب الذي يعالج مرحلة ما بعد الاستعمار، والذي ينقد الأوضاع التي آلت إليها إفريقيا المستقلة عموما، ويمكن إدراج الفكرة على أنها فكرة إنسانية قبل أن تكون خاصة بنيجيريا؛ فمسألة الأبيض المتحكم عن بعد هي مسألة كل الدول التي كانت تحت طائلة الاستعمار، والتي يمكن أن نسميها الاستعمار الجديد (Neo-colonialism).

تطرق أوكارا إلى شخصية الحاكم الحقيقي المُتخفي الذي لم يصل إليه بطلُه أوكولو نموذجُ المثقف الذي يحمل عناء البحث عن حقائق وجوهر أشياء يعيشها عبّر عنها الكاتب (أوكارا) في مواضع عدة بصيغة الغائب دون التصريح بها؛ ليطرح المُتلقي بذلك العديد من الاستفهامات، ويفترض العديد من الفرضيات التي تتفق في نبلها وإنسانيتها، وفي مجتمع يعيش جلّ أفراده دونية تجعل منهم تابعين لمن لا يعرفون حقيقته، وهم بذلك يوهمون أنفسهم براحة مكذوبة مواجهين

أوكولو بقولهم: "لماذا تريد أن تموت ميتة عقيمة؟ لو كففتَ عن التفكير يا أخي فالناس ذوو الدواخل الأكثر اطمئنانا هم الذين لا يفكرون في شيء، ونحن هنا نحاول أن نكون مثلهم، نطفو على وجه النهر كجذوع الأشجار، ونذهب أنّى يسيّرنا التيار، لا شيء يحوّل طمأنينة دواخلنا إلى مرارة، فابِق يا أخي وكن واحدا منا"[111].

هكذا تبرمجت عقول الناس على التفكير، بل حتى مثقفوهم لم يخرجوا عن هذا النمط من التفكير، فترى الواحد منهم يقول: "أنا أكتفي بالجلوس والمراقبة، إذا قالوا أي شيء أوافق، وإذا فعلوا أي شيء أوافق ما داموا لا يقطعون لقمة العيش عن فمي، أما العبرة التي أريد قولها فهي: تغير وافعل كما يفعل الآخرون"[112].

إن هذه الدونية التي تطرق إليها أوكارا هي دونية ذات بعد تاريخي تكوّن إبان الاستعمار، ولـ مالك بن نبي تفصيل لذلك في مصنفة (شروط النهضة): "وليس ينجو من الاستعمار وأجناده إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمِر وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار"[113].

---

[111] - غابرييل أوكارا، الصوت، ص: 54.

[112] - المصدر نفسه، ص: 28.

[113] - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل سقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:

بما أن الرجل الأبيض (أوروبا) أنهكته مقاومة الشعوب المنتشرة عبر العالم فقد اتخذ لذلك أسلوبا جديدا للاستعمار من خلال اختراق أجهزة الدول فيصير بذلك الرجل الأبيض ذا حق في بلاد الأسود دون أن يكون ذلك لصاحب الأرض نفسه، أو كما قال رجل: "لماذا تسوق رجلا مثل هذا إلى المخفر حين يسرق من متجر رجل أبيض؟ الرجل الأبيض يأخذ كل أموالنا إلى بلاده"[114]. هذا الأبيض الذي كان ولا يزال ينظر إلى الأسود نظرة دونية وقد صور أوكارا لذلك مشهدا لا تختلف فيه تصرفات الأبيض عن تصرفاته في الواقع: "وقف الجاسوس كالعمود بانتظار أن يلاحظه الرجل الأبيض، إلا أن الرجل الأبيض استمر في القراءة، الرجل الأبيض يقرأ، والجاسوس واقف، الرجل الأبيض يقرأ والجاسوس واقف، وأخيرا قال الرجل الأبيض دون أن يرفع عينيه: دعه و اذهب"[115].

لقد كان بناء الشخصية العرقية في الرواية الإفريقية قائما على عدة معطيات منها ما يأخذ صفة مباشرة، ومنها ما يأخذ غير ذلك، إلا أنها اتفقت في تكوينها على ثنائية (فوقي / دوني) وكما تطرق لها علم النفس الإكلينيكي

11، 2012، ص: 33.

[114] - المصدر السابق، ص: 36.

[115] - غابرييل أوكارا، الصوت، ص: 56.

(فانون) و فلسفة التاريخ (بن نبي) والدراسات الكولونيالية وما بعدها عموما حاولت الرواية الإفريقية ذلك إما لنقد الأوضاع الراهنة أو بعث الأمة أو رسم معالم سيرة إفريقية تتجاوز إعادة التاريخ لتحقق حلم لوثر كينغ Luther King.

الحوار الحضاري بين الأنا والآخر:

لقد حاولت الرواية الكولونيالية -حسب نظرة عدد من النقاد- تصوير عالم الجنوب بصورة تفتح شهية عالم الشمال، واختلف في تأويلها بين مدافع عنها ومدّع، ولهذا أظهرت الرواية المابعد كولونيالية شيئا من الاختلال في الحوار الحضاري، وصارت علاقة الأنا بالآخر مبنية على معطيات تاريخية كرست فيها الامبرالية الغربية كل قواها سعياً وراء تحقيق ما نظّرت له الفلسفات في اكتساب المكانة الخالصة للسيد والعبد[116]، وعلى الرغم من أن كل إمبراطورية تخبر نفسها والعالمَ أنها على خلاف باقي الإمبراطوريات، وأن لها مهمة أسمى من النهب والسيطرة، وأنها تسعى إلى تثقيف وتحرير الشعوب إلا أن هذه الشعوب لا تؤمن بها بكل بساطة لأن أفكار هذه الإمبراطوريات هي على نقيض سياساتها في كل الحالات[117]، وكذلك صوّرت الرواية الإفريقية مسألة الأنا والآخر في شكلها العرقي كما صورت مسألة الاستعمار بأنها

---

[116] - للتوسع في هذا الموضوع ينظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط: 01، 1993، ص: 174-179.

[117] - ينظر: إدوارد سعيد، خيانة المثقفين: النصوص الأخيرة، ترجمة: أسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، 2011، ص: 50.

جريمة الإنسان الأبيض ويمكن أن نفهم هذا في قول كاماو ونجوروجي: "نعم... إنهم يقولون أن البريطانيين هم الذين قتلوه إلا أن الأمر سيان، سواء البريطانيون أو غيرهم فإن الذين قتلوه هم البيض"[118].

حاول الروائي الإفريقي أن يصور معاناته مع مسألة اللون، وجعلها مسألة ضربت الإنسانية ومست المسار الحضاري لإفريقيا وعالم الجنوب، وأوضح أن اللون "الأبيض لا يصنع الرجل لأن هناك نوعا من الناس لا يريد لغيره أن يرتفع إلى مصاف أعلى من مصافه بصرف النظر عما إذا كان أبيض أو أسود، ويريد هؤلاء الناس أن يكونوا وحدهم ينبوع المعرفة"[119]، وقد كان نموذج جنوب إفريقيا على ذلك الشكل لا يعترف بالعبقرية السوداء ولا بنخبها، إذ صورت رواية (فتى المنجم) جانبا من ذلك في حادثة سقوط رجل أسود كان مطاردا من طرف الشرطة ومجيء الدكتور ميني الزنجي وصفعه من طرف شرطي دون أن يعبأ من كونه طبيبا[120].

لم تخرج سياسة أوروبا عما نظّرت له الأنثرولوجيا[121] إزاء

---

118 - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 77.

119 - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 40-41.

120 - ينظر: بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 91-93.

121 - للتوسع في هذا الموضوع ينظر: إدوارد سعيد، تعقيبات على

النظر إلى دول الجنوب بما في ذلك القارة السمراء، لتكوين الفارق بين الأنا والآخر، واستحداث مفهومي (الآخرية) و(الاختلاف)، أو كما اعتبر مونتسكيو **Montesquieu** أن العالم الجغرافي أساس لكل تقدم[122]، ويقرر أن الجنوب هو موطن الكسل بسبب الحرارة وأن الشمال هو موطن العمل بدافع البرودة، وقد خُلقت فيهم الميل إلى السيطرة على الطبيعة بدل عبادتها، ولهذا رأى مونتسكيو أنه من قدر الشعوب الجنوبية أن تغزوها الشعوب الشمالية وأنه من الطبيعي أن يكون السادة من الشمال والعبيد من الجنوب.

أمعن غرانت **Grant** في تفصيل القول في هذا الاتجاه فركز على العرق والسلالة وركز هاردر على تميز أوروبا فرأى أنها تميزت عن البلدان بالحضارة والتقدم كما يتميز الإنسان عن الحيوان[123]، ولما قامت جمعيات لدراسة الحضارة الافريقية

الاستشراق، ترجمة: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 01، 1996، ص: 72، 76.

[122] - تقارب نظرة مونتيسكيو إلى حدّ كبير نظرة عبد الرحمن بن خلدون حول تأثير الجغرافيا في نمط التفكير والطباع الإنسانية سبق أن ذكرناها. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار مكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 2000، ص: 63-65.

[123] - ينظر: محمد عابد الجابري، العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: 04، سبتمبر 2012، ص: 124.

في أوروبا وأمريكا ونظّمت اليونيسكو مؤتمرا دوليا حول الثقافة في إفريقيا عام 1961 زعم أعضاؤه أنه "لا وجود للشخصية الإفريقية، ولو أمكن التسليم بوجودها فإنه لا جدوى من اِنعاشها في القرن العشرين الذي يموج بثقافات وحضارات جديدة لا تصمد أمامها الحضارة الإفريقية"[124].

صور نجوجي واثيونغو هذا الموقف من خلال مدرس أبيض "كان يؤمن بأن الجيد والممتاز لا يمكن أن يصدر إلا عن الرجل الأبيض، ولذلك فإنه كان يربي النشء على محاكاة مدنية الرجل الأبيض باعتبار أنها أمل البشرية الوحيدة خاصة أمل الشعوب السوداء، وكان باستمرار ضدّ كافة رجال السياسة السّود الذين يدفعون الناس إلى إظهار عدم رضاهم وسخطهم على حكم الرجل الأبيض ورسالته الحضارية"[125].

كان الصراع بين الأبيض والأسود مبنيا على أسس تاريخية ومرجعية استعمارية حديثة العهد بالحاضر الذي يعيشه الروائي، كما تعيشه سائر شعوب إفريقيا، وكما يقول إدوارد سعيد فإن: "واقعة حدوث الاستعمار أخذت تعني قَدَرا يرتب نتائج مديدة أو عبثية غير عادلة سيما بعد تحقيق الاستقلال الوطني، الفقر، التبعية، التخلف، مختلف أعراض

---

[124] - نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ص: 73.

[125] - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 201.

السلطة والفساد، فضلا عن المآثر الكبرى في الحرب والتنمية الاقتصادية؛ هذا المزيج من الخصائص رسم صورة الشعوب المستعمَرة التي حررت نفسها في المستوى الأول، لكنها بقيت ضحية ماضيها في مستوى آخر"[126]، بل تعدى ذلك إلى نفي شعوب بكاملها[127]، واستبعادهم سياسيا واقتصاديا وثقافيا، لتصير بذلك شعوبا هامشية، إما أن تسير على منهج الدول والشعوب المركزية متجاوزة بذلك عاداتها وثقافاتها وكل ما تعلق بهويتها، وإما أن تحافظ على مقوماتها وسيادتها، وهو ما نراه في (الصوت) لاوكارا، والتي صور فيها الكاتب معاناة الإفريقي بعد مرحلة الاستعمار، وينتهج في ذلك نهجا إنسانيا عالميا، ويحاول أن يوضح بذلك أنها ليست مشكلة تتعلق بإفريقيا بل بكل الدول والأمم التي تعرضت إلى الاستعمار.

لم يجد أوكولو بطل رواية (الصوت) في بلد المنفى سولوغا ما كان يبحث عنه في بلده الأم أماتو؛ فهما كانتا تعانيان من المشكلة نفسها، حتى الشعوب مثّلها أوكارا في ركّاب القارب وجعل لذلك تصويرا في غاية الجمال: "لقد تعلّم شيئا

---

[126] - إدوارد سعيد، تعقيبات على الاستشراق، ص: 65.

[127] - ينظر: إدوارد سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، ترجمة: حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 2003، ص: 61.

(تبسم في داخله)، لكن هل في وسع جسدك أن لا يلمس جسدا آخر، أو في وسع داخلك ألا يلمس داخلا آخر؟... ثم أخذ أوكولو يتفحص العالم وأبناء العالم وهم يبسطون أيديهم وسيقانهم في الكانو[128]، بغير أيما انسجام، كلّ يحاول أن يجعل داخله -أو داخلها- مطمئنا، وكلّ يحاول أن يكون مرتاحا غير معني بمن يجاوره والنتيجة؟ المنازعات، أما الذين رآهم قد تزحزحوا قليلا أو أخلوا مكانهم لآخرين فقد انعصروا وانضغطت أجسادهم حتى لم يعد بوسعها أيّ احتمال أو مقاومة"[129].

لا يمكن أن ننفي - من خلال حديثنا فيما سبق - أن الرواية الإفريقية تتضمن الحوار الحضاري، وأنه وإن كان حوارا مختلفا فإنه في مواضع عدة يتجلى في صبغته الإنسانية بما يتوافق فيه فكر البشرية جمعاء، بل إن بين طيّات النقد الذي يرسله الروائي هناك دعوة إلى حوار حضاري، وسخط على الخطابات اللاحضارية، وهذا ما نلمسه في قول بورو المشارك في حرب الرجل الأبيض: "لقد حاربْنا من أجلهم، من أجل إنقاذهم من أيدي إخوتهم البيض"[130]، وقول

---

[128] - الكانو: القارب.

[129] - غابرييل أوكارا، الصوت، ص: 76.

[130] - جيمس نجوجي، لا تبك يا ولدي، ص: 42.

كاماو: "إن بعض الأوربيين أفضل من الإفريقيين"[131]، وبهذا ليست ثنائية (دوني /فوقي) هي الثنائية الوحيدة التي تصورها الرواية الإفريقية، بل إننا نرى دعوة للعرقين الأبيض والأسود بأن يكمل كل واحد منهما الآخر دون أن يستغلا بعضهما لأن مصير البشرية مصير مشترك كما أن الأهداف مشتركة، ووجود الحوار الحضاري في العمل الأدبي هو جزء من مهمة المبدع المثقف الذي لا تثنيه السياسة، والاعتراف بالآخر جزء من الرسالة البشرية، ومسألة التحضير والتحرير هي مسألة ومسؤولية الجميع.

لقد صوّر أبراهامز في نهاية (فتى المنجم) كلاما شيقاً لـ زوما بعدما سجن الرجل الأحمر: "إن الأحمر في السجن، ويجب أن أذهب هناك أيضا، سيكون من الخطأ إذا لم أذهب... إنه ليس رجلا أسود ولكنه سيذهب إلى السجن من أجل ناسنا، فكيف لا أستطيع الذهاب؟ هناك أشياء كثيرة أريد أن أقولها أيضا، أريد أن أخبرهم كيف أحسّ، وكيف يحسّ السود"[132]، حتى أوكولو في (الصوت) كان يحمل هذا الهمّ من خلال البحث عن معنى الحياة الذي فقده البيض والسود على السواء[133]، وهو أساس التعايش السلمي

---

[131] - المصدر نفسه، ص: 41.

[132] - بيتر أبراهامز، فتى المنجم، ص: 217.

[133] - ينظر: غابرييل أوكارا، الصوت، ص: 76-77.

والسعادة الإنسانية.

لقد كانت مسألة العرقية موضوع فيلم طويل يعيش أحداثه الأفارقة والسود عامة، تمظهرت في شتى إبداعاتهم وطرائق تفكيرهم؛ منهم من سار في تيارها ومنهم من سار عكس ذلك أملا في غد جديد يعيد للزنجي منزلته بين الأمم ويعوضه حقه المسلوب؛ ليس من خلال نوبل أو كسب منصب في هيئة دولية عليا، ولكن من خلال الاعتراف بإنسانيته وثقافته، ومنحه فرصة إبداء رأيه ببعض ما يساهم في دفع عجلة التحضر نحو الأمام.



خاتمة

لم تكن المسألة العرقية وليدة اليوم أو الأمس وإنما هي مسألة غارقة في عمق التاريخ؛ نشأت مع نشوء المصلحة الخاصة واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان في ظل صراع الزعامة وحب السيطرة المدعومة بخلفيات دينية وأطر إيديولوجية أعطتها الحركة العلمية التنويرية شرعية ذلك ليس لترقية شعوب العالم المتخلف وتحضيره؛ بل محاولة في رسم خارطة طريق تمركز كل ماهو أبيض، وتعطيه وصاية حكم العالم.

إن رحلة اكتشاف العالم -أو ما أُصطلِح عليه تاريخيا بحركة الكشوفات الجغرافية- أدت -بلا شك- إلى اكتشاف مفتاح بوابة إفريقيا، وكان لحركتي الاستشراق والاستفراق اليد الطولى في معرفة طبائع الشعوب وثقافاتها وأساليب معيشتها؛ ما سهل على أوروبا -القوة الطامحة إلى حكم العالم- التوغل إلى عمقها واحتلالها، وفرض السيطرة عليها، وإعادة رسم الجغرافيا وفق ما يتناسب مع المصلحة الأوروبية، وتجسيد ثنائية (العبد/السيد) بمباركة الفلسفة التنويرية والفلسفة الألمانية بالخصوص، ودعم الإيديولوجية العلمية في الفلسفتين الفرنسية والإنجليزية.

هناك في عالم الاستعمار تنكشف حقيقة الفكر الأوروبي وينقشع ضباب الحضارة، ولم تعد أوروبا تسري كما روجت له

الأفكار التنويرية، بل تعدى ذلك إلى نفي الآخر وتهميشه، وأحيانا إلى تجريده من إنسانيته، وكان للعرقية في هذا الظرف من التاريخ العديد من الأسماء خططت لها السياسة ومولها الاقتصاد في بيئة اجتماعية قابلة للانفجار تستغلها نفسيات تحاول الفوقيةُ منها السيطرةَ على الدونية، وقد كان لفانون الحظ الأوفر واليد الطولى في دراسة هذا الجانب في تخصصه (علم النفس العيادي) ما جعله رائد الدراسات الكولونيالية بامتياز، فيكون بذلك في مصف أهم علمائها في القرن العشرين إن لم نقل وبدايات القرن الحادي والعشرين.

وكما كان مخططا لها فقد نتج عن العرقية هامشيةُ الأسود ومركزيةُ الأبيض باختلاف أنواعها ومجالاتها، كان أهمها المركزية العرقية وفيها حاول الأسود أن يكون أبيض طمعا منه في التخلص من الصورة التي رسمها له الأبيض وبرمجها له لقرون من الزمن، ثم تعدى ذلك إلى علاقة أخرى مع الآخر أين صار فيها الأسود تابعا للأبيض، يسير على الطريق الذي عبّدته أوروبا للمتوهمين بالحرية دون غيرهم؛ حيث لم تعد فيه للثقافة الزنجية أية مساحة تكون في يوم ما دليل إثبات وجود حضارة زنجية في حقبة معينة من حقب التاريخ، وهذا ما أدى إلى انتقال العالم من مرحلة التنوع الثقافي في ظل العالم الكبير إلى مرحلة القرية الصغيرة التي لها نمطها

الحياتي المميز أين تكون فيه ثقافة دول المركز هي الثقافة الرسمية لمن رضي ومن أبى.

كان عصر العولمة أفلاطوني الشكل إقطاعي المضمون، ولهذا كان العنف الذي تحدث عنه فانون نتيجة حتمية لعلاقة المتضادين، وهو ما أدى إلى ظهور فلسفة جديدة على يد بعض الزنوج تنادي بالتعصب للسواد، فصار السواد يصنع لنفسه كيانه الخاص وبذلك تحطمت أسطورة الأبيض التي آمن بها العالم لحقبة ليست بالقصيرة، ولعل بفضلها كان حصول سوينكا وموريسون على نوبل، وتعيين كوفي عنان على رأس أكبر هيئة أممية، وجلوس أوباما على كرسي حكم أكبر وأقوى دولة في العالم، ومن يدري؛ لربما "سيأتي يوم يحكم فيه السود".

لا يمكن إهمال الدور الذي لعبته الزنوجة، إذ أن ذلك التعصب للعرق الزنجي الذي كسر الصورة المقدسة للأبيض جعل إنسان أوروبا يعيد النظر في معاملته للإفريقي ويتنبه إلى حجم الظلم الذي عانت منه أجيال من الزنوج عبر التاريخ.

تتعدد العرقية وأشكالها بتعدد مواقعها على الخريطة الإفريقية، وتعدد ظروفها السياسية والاجتماعية، وبنية مجتمعاتها حتى كادت لا تحصى صورها، وكلما ضاق حيز

الاختلاف احتدم الصراع وكان الوجه الجديد فيه أشد من سابقه، ففي الحيز الاستعماري تكمن ثنائية ماركس (عبد/سيد) وثنائية فانون (مستعمَر/مستعمِر)، و(أبيض/أسود)، بينما تأخذ منحى آخر في الوطن الاستيطاني، ما يفرض على المستوطن وضع الخطط البديلة للسيطرة على الآخر وجعله مواطنا من الدرجة الثانية أو الثالثة، أما في مرحلة ما بعد الاستقلال فإن هناك جيلا ينشأ في ظل علوم الأبيض تجعله المعارف متصارعا مع ذاته بحثا عن هويته في حين أن الظروف العالمية والتوجهات الإيديولوجية تلعب دورها في تفتيت كيان الشعوب المغلوبة على أمرها، فنرى بذلك شكلا آخر للعرقية يساهم في إشعال نار الفتنة داخل المجتمع الأسود وقيام حروب أهلية تدعمها قوى المركز من أجل الحصول على ثروات القارة من خلال إبرام صفقات اقتصادية يدفع فيه الأسود ذهَبه مقابل فصل روح أخيه عن جسدها والتباهي بالقبيلة .

إنه باستطاعتنا في ختام بحثنا أن نقول أن الرواية الإفريقية صورت -وبعناية تامة- واقع إفريقيا العرقي كما ساهمت في تأريخ جانب من مشاعر السود اتجاه ما عانوه وما يعانونه، وأنه باستطاعتنا -كذلك- أن نجعل من الرواية الإفريقية منار سبيل لمعرفة إفريقيا ودراسة مجتمعاتها كما فعلت الحركة

الاستشراقية في عقود ما واعتبار الرواية مدونة فكرية لا تتعارض في ماهيتها مع مدونات الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، وهي لا تخلو عن كونها أفكارا كونية في قالب يتماشى مع ذائقة جمهور واسع جعل الخطاب الروائي خطابا راهنيا.

تمّ بحمد الله وعونه
والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأساسية:

1. أبراهامز بيتر، فتى المنجم، ترجمة: سامي الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط: 01، د.ت.
2. أوكارا غابرييل، الصوت، ترجمة: نزار مروة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط:10، 1983.
3. نجوجي جيمس، لا تبك يا ولدي، ترجمة: عبد الحميد التفتازاني، دار المعارف، مصر، د.ط، 1968.

المصادر العامة:

4. ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث، إشراف وتقديم: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 01، جمادى الأولى 1421.
5. ابن الجوزي أبو الفرج، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تقديم: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، 1983.
6. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار مكتبة الهلال، بيروت، د.ط، 2000.
7. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
8. أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن أبي

داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط: 01، 2009.

9. امرؤ القيس، الديوان، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط: 02، 2004.

10. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 03، 2003.

11. تسو لاو، كتاب التاو تي-تشينغ: إنجيل الحكمة التاوية في الصين، ترجمة: فراس السواح، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط: 01، 1998

12. الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2009.

13. الزبيدي السيد مرتضى محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة الحكومة، الكويت.

14. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، 1998.

15. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد عبد القادر الفاصلي، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، 2005.

16. الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1995.
17. كان شيخ حامد، المغامرة الغامضة، ترجمة: محمد سعيد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالمية، الكويت، أكتوبر 2012.
18. كونراد جوزيف، قلب الظلام، ترجمة: حرب محمد شاهين، مطبعة ابن خلدون، دار المصير، دمشق، د.ط، 2004.
19. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2008.
20. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط: 04، 2004.
21. مهلهل بن ربيعة، الديوان، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د.م، د.ط، د.ت
22. نجوجي جيمس، النهر الفاصل، ترجمة: عبد الله صخي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط: 01، 1988.
23. نجوجي جيمس، حبة قمح، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1983.

المراجع العربية:

24. إبراهيم جمال، كفاحي: أدولف هتلر، الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2012.

25. الأعرج واسيني، الطاهر وطار: تجربة الكتابة الواقعية -الرواية نموذجا- دراسة نقدية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1989.

26. الألباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: 01، 2002.

27. أمين أحمد، فجر الإسلام، دار الأصالة، الجزائر، ط: 01، 2010.

28. أيبش أحمد، كتاب اليهود المقدس: تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، دار قتيبة، دمشق، د.ط، دت.

29. بخاري إدريس، ألوان الأدب الأسود، منشورات البيت، الجزائر، د.ط، 2008.

30. بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.

31. بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، دون ذكر بلد النشر، د.ط، 2000.

32. بكاي منصف، أضواء على تاريخ افريقيا، دار السبيل

للنشر و التوزيع الجزائر، ط: 01، 2009.
33. الجابري محمد عابد، الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليل نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط: 05، مارس 1994.
34. الجابري محمد عابد، العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: 04، سبتمبر 2012.
35. حفناوي رشيد بعلي، قراءة في نصوص الحداثة و ما بعد الحداثة، دروب للنشر و التوزيع، د.ن، ط: 10، 2011
36. حماد مجدي، النظام السياسي الاستيطاني: دراسة مقارنة إسرائيل وجنوب إفريقيا، دار الوحدة، بيروت، ط: 1، 1981.
37. حمود محمد، الأدب الافريقي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، 2008.
38. الحميداني حميد، بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي، المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 01، 1991.
39. حيفري عبد الحميد، فرانز فانون: بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، د.ط، 2007.
40. دلباني أحمد، السيمفونية التي لم تكتمل في أركيولوجيا الانتكاس وانفجار الأصوليات، منشورات

أرتيستيك، الجزائر، ط: 01، 2007.
41. الدواس حسن، حكايا السمراء: مختارات من الحكايا الشعبية الافريقية، منشورات البيت، الجزائر، د.ط، 2009.
42. دوكتون بول فينيه، مجد السيف، ترجمة: ميشال سطوف، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2007.
43. رفعت كمال الدين، دراسات في القومية والاشتراكية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 01، 1979.
44. الزهراني معجب وآخرون، تجارب في الإبداع العربي، سلسلة الكتاب العربي، وزارة الاعلام، الكويت، ط: 10، 2008.
45. زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: 01، 2002.
46. سعودي محمد عبد الغني، قضايا افريقيا، ،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم: 34، أكتوبر 1980.
47. سعيد جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ط، 2004.
48. السيد محمود، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، 2006.
49. الشربيني لطفي، معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، د.ط، د.ت

50. شلش علي، الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم: 112، مارس 1993.
51. عاشور رضوى، صيادو الذاكرة: في النقد التطبيقي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 01، 2001.
52. عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، كتب عربية للنشر الإلكتروني، طبعة إلكترونية، www.kotobarabia.com.
53. عبد الله الطاهر، نظرية الثورة من ابن خلدون إلى ماركس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط: 01، 1979.
54. عبد الله محمد حسن، الواقعية في الرواية العربية، مكتبة الأسرة، مصر، 2005.
55. عتيق مديحة، فصول في الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط: 01، 2011.
56. عليوة جمال ، فلسفة الإرهاب في الفكر الصهيوني، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 01، 2005.
57. عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط: 01، 2008.
58. الغرفي حسن، في الشعر الإفريقي المعاصر: جيل الرواد نموذجا، دار الصدى للصحافة والنشر

والتوزيع، دبي، ط: 01، 2012.
59. فاسي مصطفى، البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1985.
60. فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم: 164، 1992.
61. قاسم سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط:01، 1985.
62. قداح نعيم، حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في افريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 02، 1975.
63. قلالة محمد سليم، التغريب في الفكر والسياسة والإقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط:01، 1988.
64. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 02، 1999.
65. المديني أحمد، رؤية السرد فكرة السرد: دراسات في أدبنا المعاصر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط: 10، 2006.
66. مرتاض عبد المالك، في نظرية النقد: متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار

هومة، الجزائر، د.ط، 2010.

67. المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للعلوم، طرابلس، ط: 03، د.ت.

68. مسعودان نورالدين، مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار نون، د.م، د.ط، د.ت.

69. مصلح الصالح، الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب، د.م، د.ط، د.ت.

70. مندور محمد، الأدب و فنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 50، 2006.

71. موسى عايدة، العبودية في إفريقيا، الشروق، الجزائر، د.ط، 2009.

72. موسى عايدة، تجارة العبيد في افريقيا، الشروق، الجزائر، د.ط، 2000.

73. ناصف مصطفى، دراسة الأدب العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 20، 1981.

74. نجم محمد يوسف، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط:05، 1966.

75. الهلالي محمد ولزرق عزيز، الغير: نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط: 01، 2010.

76. وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط: 03، 1971.

77. وهبان أحمد، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني،

طبعة إلكترونية، www.kotobarabia.com.

78. يحيى جلال، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 1999.

79. يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي: الزمن – السرد – التبئير، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط: 01، 1989.

المراجع المترجمة:

80. ابن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل سقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 11، 2012.

81. ابن نبي مالك، من أجل التغيير، دار الوعي، الجزائر، ط 01، 2013.

82. إريكسن توماس هايلاند، العرقية والقومية: وجهات نظر أنثروبولوجية، ترجمة: لاهاي عبد الحسين، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 393، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2012.

83. أشكروفت بيل وآخران، دراسات مابعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، ترجمة: أحمد الروبي وآخران، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 01، 2010.

84. بابا هومي .ك، موقع الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: 01، 2001.
85. باختين ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 1987.
86. بناتي تشارلز، قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء، ترجمة: مروان سلوب، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، السعودية، ط: 01.
87. بوتور ميشال، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط: 02، 1986.
88. التقرير الأوربي حول التنمية لعام 2009، التغلب على الهشاشة في افريقيا، مركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة، المعهد الجامعي الاوربي سان دومينيكو دي فيسولي.
89. تودروف تزفيتان، روح الأنوار، ترجمة: حافظ قويعة، دار المجد علي للنشر، صفاقس، ط: 01، 2007.
90. تودوروف تزفيتان، مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:01، 2005.
91. كريتيان جان بيار، إفريقيا البحيرات الكبرى: ألفا

عام من التاريخ، الدار الجماهيرية، للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ط: 01، 2000.

92. جيرالدمور، سبعة أدباء من إفريقيا، ترجمة: علي شلش، سلسلة كتاب الهلال، دار الهلال، مصر، العدد 318، 1977.

93. جيل فير يول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، بيروت. ط: 01 ،2011.

94. رونوفن بيير، التوسع الأوروبي في العالم أشكاله وطرقه (1869-1914)، ترجمة: نورالدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ط: 01، 1997.

95. سارتر جون بول، مواقف مناهضة للاستعمار، ترجمة: محمد معراجي، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2007.

96. ستراوس كلود ليفي، العرق والتاريخ، ترجمة: سليم حداد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، دت.

97. سعيد إدوارد، الآلهة التي تفشل دائما، ترجمة: حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 2003.

98. سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الأداب، ط: 03، 2004.

99. سعيد إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة: رؤية

للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 2006.
100. سعيد إدوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة: صبحي حديدي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 01، 1996.
101. سعيد إدوارد، خيانة المثقفين: النصوص الأخيرة، ترجمة: أسعد الحسين، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، 2011.
102. سيزير إيميه، خطاب حول الاستدمار، ترجمة: ميشال سطوف، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2007.
103. سيناتو.ك.اي. وفاسنانت.و.ت، مختارات من الشعر الافريقي، ترجمة: جميل الضحاك، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، د.ط، 1975.
104. عامر روز، حقيبة تربوية في موضوع العنصرية: فعالية بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنصرية، ترجمة: جدل مرزوق حلبي، 21 مارس 2012، نظمه: قسم التربية، جمعية حقوق المواطن في إسرائيل، تل أبيب.
105. فارني جان بيير، عولمة الثقافة، ترجمة: عبد الجليل الأزدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: 01، يناير 2003.
106. فانون فرانز، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات ANEP، الجزائر،

د.ط، 2007.

107. فانون فرانز، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدرومي وجمال الأتاسي، دار الفرابي، لبنان، ط: 01، 2004.

108. فوكوياما فرانسيس، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط: 01، 1993.

109. ك.نلوولف، ك.نوريس، ج.أوزيون، القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية : موسوعة كمبريج في النقد الأدبي، مراجعة وإشراف: رضوى عاشور، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط: 01، 2005.

110. كشك محمد جلال، القومية والغزو الفكري، مكتبة الأمل، الكويت، د.ط، د.ت.

111. كوك ديفيد، ما الأدب الإفريقي: دراسة تحليلية، ترجمة: هدى كيلاني، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ط: 10، 1989.

112. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، 1985.

113. لومبا آنيا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، ط: 01، 2007.

114. ليتل كينيت، السلالة والمجتمع، ترجمة: محمد

جلال عباس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967.
115. لينتون رالف، شجرة الحضارة، موفم للنشر، د.ط، الجزائر، 2007.
116. مامي ألبير، صورة المستعمر، ترجمة: ميشال سطوف، منشورات ANEP، الجزائر، د.ط، 2007.
117. مانغنو دومينيك وشارودو باتريك، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2008.
118. مانغنو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:01، 2008.
119. مجموعة مؤلفين، بروتوكولات حكماء صهيون، مراجعة: أحمد جاد، دار الغد الجديد، المنصورة، ط:01، 2002.
120. نيتشه فريدريك، إنسان مفرط في إنسانيته: كتاب العقول الحرة، ترجمة: محمد الناجي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 2002.
121. هيجل ج.ف.ف، أصول فلسفة الحق، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 03، 2007.
122. واثيونغو نجوجي، تصفية استعمار العقل، ترجمة: سعدي يوسف، دار التكوين، دمشق، د.ط، 2011.

المراجع غير العربية:

123. Achour Cheurfi, **Encyclopédie des pays musulmans**, Edition Dalimen , Algérie, S.edt, 2011.

124. Douglas Killam and Alicia L.Kerfoot, **Student Encyclopedia of African Literature**, Greenwood Press, London, 01st, edt,2008.

المقالات العربية:

.125 بن بوعزيز وحيد، فرانز فانون في التفكير ما بعد الحداثي، الكلمة والشيء، صحيفة القدس العربي، العدد:7543، 2013/9/9.

.126 جواد عبد م.م.فكري، كتاب التلمود وأثره في الفكر اليهودي، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، العدد: 06، 2007.

.127 عبد الرزاق محمد، مقال: ثلاثية فرويد أغلى لوحة في العالم والموناليزا لا تقدر بثمن، جريدة المدينة، العدد: 1858، 2014/03/15.

المقالات غير العربية:

128. Kanchan chandra, **« Whatis the ethnicidentity and doesitmatter ?»**, annu-rev. Polit sci, n 09, 2006.

المذكرات والرسائل الأكاديمية:

.129 بلعيد سمية، النزاعات الإثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها: جمهورية الكونغو

الديمقراطية أنموذجا، رسالة ماجيستير، غير منشورة، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

130. مرابط رابح، أثر المجموعة العرقية على استقرار الدول: حالة كوسوفو أنموذجا، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة،2008-2009.

131. إيدابير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، رسالة ماجيستير، غير منشورة، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 03، 2011-2012.

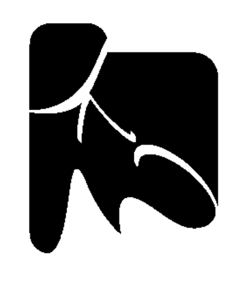
132. بوداود لامية، تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر: رواية (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا، رسالة ماجيستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، د.ت.

133. مربيعي وافية، الحوارية الخطاب الروائي – "الخباء" و "الباذنجانة الزرقاء" لميرال الطحاوي كأنموذجين، رسالة ماجستير، غير منشورة،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة الجزائر 02، 2006 - 2007.

134. مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران:

السانيا،2013-2014.

منشورات زخة الشهب للنشر الإلكتروني
2021م / 1442هـ



في الرواية الإفريقية

تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي

لقد كانت إفريقيا عبر حقب تاريخية طويلة مدار أطماع العديد من الدول والمؤسسات الاستعمارية، ولعل تخلفها عن باقي قارات العالم مردّه إلى تعرضها لأشرس حملة استعمارية في التاريخ بعد حملة الإبادة التي تعرض لها الهنود الحمر، وذلك لأن إفريقيا لا تزال الخزان الباطني لثروات العالم، لهذا لا يستبعد أن تتوالى عليها الفتن والمؤامرات التي تحاك في مخابر الاستعمار الأوروبية والأمريكية، غير أن هذا الأمر لا يمنع من وجود مناضلين وطنيين وقوميين يسعون إلى الخلاص التام من كل أنواع الهيمنة، وها هي الآن بعض الدول كجنوب إفريقيا ونيجيريا تنمو بسرعة على الرغم من الأوضاع السياسية التي لا تطاق.

زهير بختي دحمور



زهير بختي دحمور — في الرواية الإفريقية: تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي — منشورات زخة الشهب